

البابا شنودة الثالث

تأملات في حياة

القديس أنطونيوس



قداسة البابا شنودة الثالث

تأملات في حياة
القديس أنطونيوس

Contemplations On The Life
Of
SAINT ANTONY THE GREAT
By
H.H. POPE SHENOUDA III

13th Print
Jan. 2014

الطبعة الثالثة عشر
يناير ٢٠١٤

الكتاب : تأملات في حياة القديس أنطونيوس .
المؤلف : قداسة البابا شنودة الثالث .
المطبعة : الانبا رويس (الأوفست) بالعباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٤٢٠٦ / ١٩٨٠ م .
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف .



القديس العظيم الأنبا أنطونيوس



قداسة البابا تواضروس الثانى

بابا الإسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية الـ ١١٨



مثالث الطوبى قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الكسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

فهرست

صفحة

مقدمة	٧
الفصل الأول : محبتنا للقديسين	١٠
الفصل الثاني : القديس أنطونيوس جاهد وانتظر	١٥
الفصل الثالث : القديس أنطونيوس كأب لفكرة وطريق	٢١
الفصل الرابع : القديس أنطونيوس كمعلم وطالب علم	٢٩
الفصل الخامس : القديس أنطونيوس أعطى أم أخذ ؟	٤٥
الفصل السادس : القديس أنطونيوس وعبة الوحدة والسكون	٥٥
الفصل السابع : القديس أنطونيوس ومحبه الله	٦١
مديح للقديس الأنبا أنطونيوس	٦٣

مقدمة

كانت كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا هي الفرع الرئيسي ، الذى أقوم فيه بخدمة التربية الكنسية قبل سيامتى راهباً ...

فلما شاء الله أن أنزل للخدمة ، كان من الطبيعى أن أذكر من هذه الكنيسة ، لألقى كلمة عن القديس الأنبا أنطونيوس ، فى الأسبوع الروحى الذى تقيمه هذه الكنيسة كل عام بمناسبة عيد الأنبا أنطونيوس ، فى ٢٢ طوبة (آخر يناير) .

وهذا الكتاب ثمرة عدة محاضرات ، ألقى فى كنيسة القديس الأنبا أنطونيوس بشبرا . وكان يحيرنى فى كل عام ، اختيار الموضوع الذى أقوله ، وقد غطى المتكلمون قبلى جميع النقاط ! وأتذكر أننى قلت لشعب الكنيسة فى أحد أعياد الأنبا أنطونيوس : أن القديس الأنبا أنطونيوس ، له فضائل عديدة . ولعلكم قد سمعتم الكثير عنه فى حفلاتنا التى تقام فى الكنيسة كل عام ... وفى طريقى فى هذه الليلة إلى ههنا ، كان يجلس معى فى العربة الأب الموقر القمص إبراهيم عطية . فقلت له :

أست أدرى عن أى شىء أحدث الناس فى هذه الليلة ، فقد سمعوا كثيراً عن الأنبا أنطونيوس ، وليس من جديد ؟!

كل عام يسمعون كل شىء عن الأنبا أنطونيوس ، أو يخيل لنا أن كل شىء قد قيل .

فأجابنى ... أن المياه يشربها الناس كلهم ، ولا يسأمونها أبداً .

فقلت : ولكن المياه لا يشربها العقل . إن المعدة لا تسأم الشىء المتكرر ، أما العقل فيسأمه . لو كان العقل يشرب الماء باستمرار ، لثبم منه ...

حقاً ، ماذا يمكن أن نقول عن الأنبا أنطونيوس ؟

ولعلنى أكون قد اخترت بعض النقاط التى لم يتعرض لها المتكلمون .

هذه أقدمها لك أيها القارئ المحبوب ، فى هذا الكتاب .

شكوه الثالث

في كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا

يسرنى أن أحضر معكم هذه الليلة ، لنتحتفل بعيد أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس .

في الحقيقة أننى عندما أدخل إلى هذه الكنيسة ، يتناوب شعور مخالف لشعورى في أية كنيسة أخرى .

فربما أذهب إلى كنيسة أخرى ، ككاهن ، أو كراع ، أو كأسقف ... ولكننى عندما آتى إلى هذه الكنيسة ، أتذكر باستمرار أننى ابن وتلميذ ... فقد تتلمذت في هذا المكان المبارك ، وفي هذه الكنيسة المقدسة ، وكل شبر فيها له في قلبى ذكريات مقدسة .

واحبيننا جميعاً إسم القديس الأنبا أنطونيوس :

حتى أن كل فصول مدارس الأحد التى كنت أقوم بالتدريس فيها في كنائس أخرى ، كانت تحمل إسم الأنبا أنطونيوس أيضاً ... وعندما دخلت في الحياة الرهبانية ، اخترت إسم الراهب أنطونيوس ليكون إسمى في الرهبة .

وعندما وضعنى الله في هذه المسئولية ، ظللت محفظاً بحقيقى لهذا الإسم المبارك . فأول كاهن قمت برسامته ، كان على إسم أنطونيوس أيضاً ، وهو من أبناء وأساتذة هذه الكنيسة . إنه القمص أنطونيوس راغب حالياً .

وتخرج من هذه الكنيسة كثيرون رسموا بإسم أنطونيوس :

منهم القمص أنطونيوس يونان بالمتصورة ، والقمص أنطونيوس باقى نبح الله نفسه . والقس أنطونيوس فرج (في لندن) . كما قمت بسمية القس أنطونيوس حنين (في لوس أنجلوس) ، والقمص أنطونيوس ثابت بالأسكندرية .

وقد إشترينا أربعين فدائاً في ضواحي لوس أنجلوس بأمريكا ، أقيم عليها دير بإسم
القديس أنطونيوس . وأول كنيسة أسسناها في أمريكا في أيامي ، كانت على إسم
العذراء والقديس أنطونيوس في منطقة كويتز .

أيضاً أول أسقف سيم لنا في أفريقيا ، كان بإسم الألبا أنطونيوس مرقس . وأول
كنيسة ودير أسسناها في نيجيريا بكينيا ، بإسم مار مرقس والألبا أنطونيوس . كما
أسسنا كنيسة في إستراليا بإسم الألبا أنطونيوس ، وأخرى في ألمانيا بنفس الأسم .
وكنيسة في مصر الجديدة بإسم القديس جوارجيوس والألبا أنطونيوس . وقنا بسمية
كاهن فرنسي بإسم القس أنطونيوس ، وعدداً آخر من الآباء الكهنة ...
وأصبح إسم القديس الألبا أنطونيوس يمثل في قلوبنا فكرة ومبدأ وروحانية خاصة ،
تهتز له قلوبنا أينما ذهبنا .

كما أصبح لنا مركز قبلى في فرانكفورت بألمانيا ، ودير بإسم الألبا أنطونيوس
أيضاً .

الفصل الأول :

محبتنا للقديسين وأكرامنا لهم

اليوم في عيد الأنبا أنطونيوس ، أتأمل معكم إكرام كنيستنا للقديسين . في الواقع أن كل أبناء الكنيسة القبطية يحبون القديسين محبة كبيرة ، ربما لا توجد في أية كنيسة أخرى .

أنظروا إلى أعياد القديسة العذراء مثلاً ، وأعياد مار جرجس ، وأعياد الملاك ميخائيل ، والأنبا أنطونيوس ، والقديسة دميانة ، والأنبا رويس والأنبا بيشوى ، والأنبا موسى الأسود ، ومكسيموس ودوماديوس ... كم ترون من زحام الناس ومحبتهم وتشفعهم بالقديسين ... !

كم من قديسين تركوا العالم ، ولكن العالم لم يتركهم ولا نسيمهم .

هم أمامنا في كل حين ، نقابل حياتهم ببهاء عميق . وفاء نحو آباء عاشوا في غير زمننا . ولكنهم مازالوا في قلوبنا وفي أفكارنا . إنها مشاعر وفاء ، ومشاعر حب نحو الآباء .

وحب الآباء الروحانيين فضيلة راسخة في أبناء كنيستنا سواء الآباء الأحياء ، أو الذين إنتقلوا منهم ... نقابلهم جميعاً بكل توقير لأبوتهم ، ولحياتهم ، وذكراهم . ولا يفهم الآباء خطأ ، ما قد فهمه البعض من عبارة : « لا تدعوا لكم أنا على الأرض » . فهذه العبارة قالها السيد المسيح للرسول الإثني عشر فقط ، لا لعامة الناس . عني اعتبار أن الرسل وخلفاءهم ليس لهم آباء على الأرض . أما بقية الناس فهم آباء .

يوحنا الرسول يقول : « يا أولادى ، أكتب لكم هذا لكي لا تخطئوا » (١ يو ٢ : ١) . وبولس الرسول يصف تيموثاوس بأنه « الإبن الحبيب » (٢ تي ١ : ٢) .

وتيطس « الإبن الصريح حسب الإيمان » (ق ١ : ٤) . ويقول لفليمون : « اطلب إليك لأجل إبنى أنسيموس الذى ولدته فى قيودى » (فل ١٠) . ويقول لأهل غلاطية « يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً » (غل ٤ : ١٩) . ويقول لأهل كورنثوس « أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل » (١ كو ٤ : ١٤ - ١٧) . وبطرس الرسول يقول : « مرقس إبنى » (١ بط ٥ : ١٣) .

الأبوة الروحية موجودة إذن فى الكنيسة ونحن نحب آباءنا .

وهناك رابطة كبيرة بيننا ، وبين الذين فى الفردوس .

رابطة بين أهل العالم الحاضر والآخر . وهذه الرابطة مستمرة . إكرام القديسين دليل على وجودها . فإله ليس إله أموات . وإنما إله أحياء .

ونحن نشعر أن هؤلاء القديسين مازالوا أحياء ، وأنهم يعيشون بيننا ، ونتحدث إليهم تماماً كما نتحدث إلى الأحياء .

يقف إنسان أمام أيقونة العذراء أو مار جرجس أو الأنبا أنطونيوس ، ويطلب ، ويتكلم فى دالة ، ويعاتب أيضاً .

نحن لا نشعر إطلاقاً أن القديسين قد فارقوا عالمنا ، أو انتقلوا منه أو انتهوا ... ! كلا ، بل نشعر بوجودهم باستمرار . ونذكرهم ليس فى أعيادهم فقط ، بل فى كثير من صلواتنا .

القديس الأنبا أنطونيوس مثلاً ، لا نذكره فقط فى عيده ، إنما يذكر فى مجمع الآباء فى كل قداسات الكنيسة . وليس فقط فى القداسات ، إنما أيضاً فى تسبحة نصف الليل كل يوم فى الأبصلمودية ، نذكره مع آباؤنا جميعاً ...

نحن لا ننسى آباءنا أبداً ، مهما نسى الغير آباءهم وأجدادهم . إنها كنيسة تتسم بالوفاء وحُب الآباء .

وفى ذكرنا للقديسين وإكرامنا لهم ، إنما نعلن إيماننا بالأبدية ، وبأن الحياة لا تنتهى بالموت ، وإنما لها إمتداد بعد الموت ...

لولا شعور كل واحد منا ، بأن الأنبا أنطونيوس لا يزال حياً ، يشفع فينا ويشعر بنا ، ما كنا نحتفل به الآن ، ونردد له الألحان ... ! نحتفل بحفنة تراب ؟ كلا ، بل

بحياة . إننا نحفل بكائن حي ، نشق بأن حياته مستمرة ، في الأبدية . وهذا يعطينا أيضاً ثقة ، بأن حياتنا ستبقى مثل آبائنا ...

وفي إكرامنا للقديسين ، إنما أيضاً نكرم الفضيلة ، التي عاشوها .

الذين يكرمون رجال العلم ، إنما يكرمون المعلم أيضاً ... والذين يكرمون الأبطال ، إنما يكرمون البطولة فيهم ، والذين يكرمون الأذكاء ، إنما يكرمون الذكاء فيهم . كذلك الذين يحبون القديسين ويكرمونهم ، إنما يحبون القداسة فيهم ويكرمونها ... نحن نحب القديسين ، لأن في حياتهم صفات نحبها . والكنيسة في إكرامها للقديسين ، إنما تكرم صفات القداسة في أشخاصهم . حيناً نقرأ كتاباً روحياً ، نطلع على مبادئ وأفكار روحية .

أما في حياة القديسين ، فنرى المبادئ الروحية ممثلة عملياً .

ونشق أن الفضائل ليست أموراً نظرية ، بل هي واقع ملموس ، فخطمئذ ونشق أن طريق الكمال ممكن التنفيذ ...

وحياة قديس كالأنبا أنطونيوس تعلمنا أشياء كثيرة .

نعطينا فكرة كيف أن الإنسان يمكنه أن يكتفي بالله ، ومعه لا يحتاج إلى آخر ، ولا يعوزه شيء . بحيث يستطيع أن يترك الكل من أجل الرب ، الذي يصير له الكل في الكل .

وتعلمنا سيرته أيضاً ، كيف يمكن أن الإنسان يجلس وحده ، فلا يمل ولا يسأم ولا يضجر ، لأن قلبه مع الله في كل حين ، شعبان بالرب ...

نعطينا حياته مثلاً عملياً عن الصداقة مع الله ، والعشرة مع الله ، التي تملأ القلب وتملأ الفكر ، وتملأ الحياة ، فيقول مع المزمور : « معك لا أريد شيئاً على الأرض » . إنها حياة : « الإخلال من الكل . للإرتباط بالواحد » أي ينحل من كل أحد ، ومن كل شيء ، لكي يرتبط بواحد هو الله ...

وما أكثر الفضائل التي نراها عملياً في حياة هذا القديس .

في المعرفة ، في الإفراز ، في التواضع ، في الهدوء والسكون . في الوحدة في محبة الله ، أترى إنساناً يحوى كل هذا في حياته ؟! لأجل هذا قلت لكم أن القديسين عينات ممتازة من البشر ...

ومحبتنا وإكرامنا للقديس الأنبا أنطونيوس ، تعنى أيضاً محبتنا لحياة الصلاة والتأمل والنسك ، التي إتصفت بها حياة الرهينة .

لو لا إعجاب الناس بهذه الحياة النسكية والتأملية التي عاشها الأنبا أنطونيوس ما كانوا يبنون الكنائس والمذابح على إسمه ، وما كانوا يرسمون له الأيقونات ، و يقيمون له الأعياد .

وإكرامنا للقديسين يعنى أيضاً لله نفسه ...

لأنه قال : من يكرمكم يكرمى . ومن يقبلكم يقبلنى ... ولأننا نحب الله ، لذلك نحب أولاده الذين أحبوه ...

والكنيسة في إكرامها للقديسين ، وزعت أعيادهم على مدار السنة .

في كل يوم من أيامنا ، تحتفل الكنيسة بعيد أحد القديسين . أو بعض القديسين ، لا يخلو يوم من تذكار قديس ...

وبن نحتفل بهؤلاء القديسين في أيام إنتقالهم من هذا العالم ، في يوم الوفاة أو يوم الإستشهاد ، لأنه اليوم الذى أكمل فيه القديس جهاده على الأرض ... وكما قال الرسول : « أنظروا إلى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بإيمانهم » (عب ١٣ : ٧) .

هؤلاء القديسون الذين نحتفل بهم ، إنما هم عينات ممثلة .

إن كل من يحيا حياة الإيمان ، يسميه الكتاب قديساً .

يكتب القديس بولس الرسول إلى : « القديسين الذين في أفسس » (أف ١ : ١) وإلى : « جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي » (في ١ : ١) ويختم رسالته إليهم بعبارة « يسلم عليكم جميع القديسين » (في ٤ : ٢٢) . ويكتب أيضاً إلى : « القديسين الذين في كولوسى » (كو ١ : ٢) . ويخاطب العبرانيين بقوله : « من ثم أيها الأخوة القديسون ، شركاء الدعوة السماوية » (عب ٣ : ١) .

لأنك أن كل مؤمن ، نزع الإنسان العتيق ، ولبس المسيح في المعمودية (غل ٣ : ٢٧) ، وسكن فيه الروح القدس ، وعاش في طاعة الرب ، وفي ممارسة أسرار المقدسة ، هو قديس .

لكننا هنا لا نتكلم عن القداسة العادية ، إنما نقصد العينات الممتازة ، التي ارتفعت روحياً فوق المستوى العادى كالأنبا أنطونيوس .

هؤلاء جاهدوا كثيراً لكي يصلوا إلى هذه القداسة . وكل جهاد لهم ، إنما برهنوا فيه على محبتهم لله ، وعلى أنهم مستعدون لبذل كل جهد من أجل الثبات فى الرب . وهذا لا يمنع من أن البعض ولدتهم أمهاتهم قديسين ، أو كانوا فى بطون أمهاتهم قديسين ...

مثال ذلك يوحنا المعمدان الذى قيل عنه : « ومن بطن أمه يتلىء من الروح القدس » (لو ١ : ١٥) . والذى أحس بالمسيح فى بطن مريم ، فارتكض يوحنا بابتهاج فى بطن أمه فرحاً بالمسيح (لو ١ : ٤٣) ...

ومثال ذلك أيضاً أرمياء النبي ، الذى قال له الرب : « قبلما صورتك فى البطن عرفتك . وقبلها خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبياً للشعوب » (أرم ١ : ٥) . هذه عينات نادرة ، مستوى عال وهبة من الله .

أما الأنبا أنطونيوس ، فهو شاب ولد فى أسرة عادية ، غنية ، ولكنه كافح ، وانتصر على عقبات كثيرة ، حتى وصل ...

الفصل الثاني :

القديس أنطونيوس جاهد وانتصر

لم يتلئذ بالروح القدس وهو في بطن أمه ، كالقديس يوحنا المعمدان . ولكنه ولد كشاب عادي ، من أسرة غنية . وكان المنتظر لمثله أن يرث أباه في غناه وسلطته ، وأن يتزوج ، ويعيش سعيداً في ظل الغنى والعظمة ، ويكون ناجحاً في حياته وكل الإمكانيات متوفرة .

ولكن الأنبا أنطونيوس ، جاهد لا لكي يستفيد من هذه الإمكانيات ، وإنما لكي ينحل منها جميعاً . وكيف كان هذا ؟

١ - نجح في إختبار « ما أعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » (مت ١٩ : ٢٣) . قال السيد المسيح هذا ، أما الأنبا أنطونيوس ، فأجابه : لا تحسبني يارب من هؤلاء الأغنياء . إنني حسب وصيتك سأبيع كل مالي وأعطيه للفقراء ، وأتبعك فقيراً .

والشاب الغني أنطونيوس دخل الملكوت ، وأدخل الآلاف معه ...

حقاً كان يملك المال ، ولكن المال لم يكن يملكه ...

كان هو السيد على المال ، يصرفه كيفما شاء . ولم يسمح للمال أن يكون سيداً ، يقوده في مسالك أخرى .

ولأن المال لم يملك قلبه ، استطاع أن يتركه ويوزعه ، ويعضي إلى الملكوت بدونه . وحينما كان الشياطين يشرون الذهب أمامه على الرمل ، ما كان يهتم به . كان كالخصي في نظره . وفقد المال قيمته في قلب الأنبا أنطونيوس ، لأن قلبه كان منشغلاً بما هو أثمن وأهم .

إذن المال في حد ذاته ليس هو الخطورة ، إنما الخطورة تكمن في محبة المال ، والتعلق به والسعي وراءه ، والإتكال عليه ، والإفتخار به .

٢ - وكما إنتصر الأنبا أنطونيوس على محبة المال ، إنتصر أيضاً على محبة الجاه والسلطة ، فلم يهتم بأن يكون له مركز أبيه .

٣ - بل إنتصر على محبة العالم كله . ونفذ وصية : « لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التي في العالم ، لأن العالم يبید وشهوته معه » .
وصار الأنبا أنطونيوس قلباً نقياً خالصاً ، ليس فيه شيء من شهوة المادة والجسد والملاذ الدنياوية المتنوعة .

كان قلباً مات تماماً عن العالم وكل ما فيه .

٤ - وكما انتصر في كل هذه الميادين ، إنتصر على محبته لأخته أيضاً ، ونجح في تدبير مسئوليته من جهتها ...

كان يمكنه أن يقول : ماذا أفضل ؟ أنا أريد الرب ، ولكن ظروفى العائلية لا تساعدنى ، وأنا مشول عنها ... ؟
كان يحب أخته ، ولكن كان يحب الرب أكثر من أخته ، لذلك أمكنه أن ينتصر . وأودع أخته في أحد بيوت العذارى ، وشق طريقه نحو الله ، منتصراً على هذه العقبة .

٥ - وفي أول جهاده ، حاربه الشياطين بشكوك عديدة ، فانتصر عليها .

شكوك من جهة صحة الطريق ذاته ، وإمكان استخدام المال في أعمال الخير تحت إدارته وتصرفه ... وهكذا يوقعونه في التردد . ويحولونه من حياة الصلاة والتأمل إلى حياة الخدمة ...

شكوك أخرى من جهة أخته ومدى إطمئنانه عليها .

شكوك ثالثة من جهة نجاحه في هذا الطريق ، وقدرته على الإستمرار فيه ...
وشكوك عديدة أخرى لا حصر لها .

ولكن قلبه كان راسخاً ، لم يتزعزع إطلاقاً أمام الشكوك .

٦ - صادفت الأنبا أنطونيوس عقبة أخرى هى الإرشاد ، فانتصر عليها :

عاش وحيداً ، بلا مرشد ، بلا أب إعتراف ، بلا كنيسة ، بلا معونة من أحد .
ولكنه انتصر على هذا كله أيضاً ...

أخذ أولاً من النساك الذين على حافة القرية . ولما دخل إلى الجبل ، بدأ يأخذ من الله مباشرة . وأعطانا درساً أنه حيثما لا توجد معونات بشرية ، فإن المعونة الإلهية لا تتخلل .

ومنح الله لهذا القديس إفرازاً وفهماً روحياً وحكمة لم تكن للذين تمتعوا بارشاد من البشر .

٧ - ثم دخل الأنبا أنطونيوس في حرب أخرى وانتصر فيها ، وهي حرب الرعب والخوف ، في البرية القفرة المنعزلة ...

لما وجد الشياطين أن المال والمعظمة لا تهمة ، وأن الأفكار والشكوك لا ترعزعه ، وأن الشهوات لا تغلبه بدأوا معه حرباً عنيفة لإخافته . فكانوا يظهرون له في هيئة وحوش كثيرة ، لها أصوات مخيفة عالية ، تهجم عليه بقصد إفتراسه . ولكن قلبه ما كان يخاف ...

بل انتصر على هذه المخاوف بوسائل ثلاث : الإنضاع ، والفهم ، والصلاة :

بالإنضاع كان يقول لهم : [أيها الأقوياء ، ماذا تريدون مني أنا الضعيف . أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم] . وكان يصلي قائلاً : [إنقذني يارب من هؤلاء الذين يظنون أنني شيء ، وأنا تراب ورماد] . فلما كانوا يسمعون هذه الصلاة المملوءة إتضاعاً ، كانوا ينقشعون كاللخاخ .

ومن جهة الفهم ، كان يقول : [إنني أعجب لتجمهركم علي بهذه الكثرة . ولو كنتم أقوياء حقاً . لكان واحد منكم يكفي] . وهكذا بالإيمان أيقن من ضعف الشياطين ، وكان هذا الإيمان يهزهم فيمشون ...

وقد استعملوا معه طرق الإيذاء والضرب ، وبخاصة حينما كان ساكناً في مقبرة ، ولكنه صمد ، وكان يصلي مزموماً : « الرب نورى وخلصى ، من أخاف . الرب عاضد حياتي ، ممن أرتعب !؟ إن يحاربني جيش فلن يخاف قلبي . وإن قام علي القتال ، ففي هذا أنا مطمئن » .

وكان في إيمان عميق يقول لمهاجيه : [إن كان الله قد أعطاكم سلطاناً علي ، فمن أنا حتى أقاوم الله !؟ وإن كان الله لم يعطكم سلطاناً علي ، فلن يستطيع واحد منكم أن يؤذي] .

وهكذا عاش الأنبا أنطونيوس في حياة الإيمان ، لا يخاف .

وفي كل مرة ينتصر ، كان يزداد إيمانه ، ويتنزع منه الخوف بالأكثر ، إلى أن زال منه الخوف تماماً . وقال أيضاً : [أنا لا أخاف الله ، لأني أحب الله] .

هذا هو رجل الجبال ، جبار البرية الذي لا يخاف ، حتى من الوحوش المفترسة ، وحتى من الشياطين .

وبخبرته الروحية ، استطاع فيما بعد أن يجمع تلاميذه ، ويلقى عليهم كلمة عميقة عن ضعف الشياطين وعدم الخوف منهم . وقد سجل لنا القديس أنثاسيوس الرسول هذه الكلمة في كتابه عن حياة الأنبا أنطونيوس .

وفي انتصار الأنبا أنطونيوس وعدم خوفه ، ظل محتفظاً بتواضعه .

يشعر بضعفه ، يصرخ إلى الله ، فينقذه الله بقوته الإلهية .

قال الأنبا أنطونيوس : [في إحدى المرات أبصرت فخاخ الشيطان مبسوطة على الأرض كلها . فقلت : يارب من يقلت منها ؟ فأجابني الصوت قائلاً : « المتواضعون يفلتون منها »] .

٨ - ولعل من مظاهر التواضع العمل في حياة الأنبا أنطونيوس ، وعدم التشبث بفكره ، أنه كان يقطع لفكر الآخرين أحياناً .

ولا شك أن في هذا انتصاراً من الإنسان على نفسه ...
وسنضرب لهذا الأمر في حياة قديسنا عدة أمثلة :

أ - إنه اقتنع بحياة الوحدة ومارسها ، وعاش ٣٠ سنة مطلقاً على نفسه لا يرى وجه إنسان ... وأخيراً ازدحم الناس على بابه ، مصرين أن يفتح لهم ، وأن يصير لهم مرشداً . وكان ممكناً لهذا القديس أن يهرب من هؤلاء ، حتى لو فتح لهم ، وأن يتمسك بحياة الوحدة الكاملة التي أرادها لنفسه . ولكنه خضع لهم . وعمول من متوحد بالمعنى الكامل إلى متوحد ومعلم للوحدة . واضطر أيضاً أن يفتح بابه لكثير من الزائرين . وغير شيئاً من أسلوب حياته . لأجل الناس . وقبل الوضع الذي أراده له ، وتنازل عما أراده لنفسه .

ب - فى إعتاده أن الرهينة موت عن العالم ، وبُعد عن العالم ، وحياة وحدة فى البرية . ولكن لما طلب إليه الآباء الأساقفة أن ينزل ليعلم رأيه فى الأريوسية ، خضع لهم ، ونزل إلى الإسكندرية ، وسط جماهير الشعب ، وقضى هناك ثلاثة أيام ، أكمل فيها الرسالة المطلوبة منه ، ثم عاد ملتمساً ديره ...

كان من النوع الطبيع (المهاد) ، على الرغم من أنه فى نزوله وقتذاك كان فى حوالى المائة من عمره ...

ج - ونزل قبل ذلك أيام الإستشهاد ، وكان يذهب إلى حيث محاكمة الشهداء وتعذيبهم ، ويشجعهم ويقوّمهم .
فى تواضعه ، انتصر على التطرف ، وعلى التحجر والجمود عند فكر معين . أعطاه التواضع مرونة وسهولة فى التعامل ...

٩ - وانتصاره على التطرف ، جعله معتدلاً فى حياته ، يسير بافراز وحكمة ، سواء مع الناس ، أو مع نفسه أيضاً .

أ - قال عنه القديس الأنبا أناسيوس ، إنه لما خرج من وحدته وجبسه لمقابلة الناس ، ما كان نحيفاً جداً بسبب النسل ، ولا كان بدينياً مترهلاً بسبب قلة الحركة فى جبسه . إنما كان معتدلاً فى قامته ، لأنه كان يسلك فى وحدته باعتدال وعدم تطرف .

ب - وظل الإفراز من أولى الفضائل التى يحبها ، حتى أنهم حينما سألوه عن أهم الفضائل ، قال لهم الإفراز ، أى الفهم والتمييز والحكمة فى التصرف ... وقال أن هناك من صاموا وصلوا وسكنوا البرية ، وهلكوا ، لأنهم تصرفوا بغير إفراز .
أما هذا القديس فقد كان يسلك بفهم وإتزان وحكمة وتمييز ، بعكس الرهبان الذين يتطرفون فى أى قانون من قوانين الرهينة ، حتى يخرجهم تطرفهم ليس فقط عن مبادئ الحياة الرهبانية ، إنما أيضاً عن مبادئ السلوك الروحى عموماً ...

ج - وفى انتصاره على التطرف ، انتصر على التزمّت أيضاً :
ولذلك كان بشوشاً باستمرار ، وجهه يفيض بالسلام على الآخرين ، فاشتى تلاميذه مجرد النظر إلى وجهه . وكان كل من ينظر إلى وجهه يتلىء بالسلام .

وهكذا إنتصر القديس أنطونيوس على حرب الكآبة التى يقع فيها رهبان كثيرون ،
ولا يوجدون أمامهم فى الكتاب المقدس سوى عبارة : « بكآبة الوجه يصلح القلب »
ناسين الآيات التى تقول : « إفرحوا فى الرب كل حين » ، « فرحين فى الرجاء » ...
فحياتهم فى الرهينة كلها عبوسة ... !

أما الأتبا أنطونيوس ، فلم يكن هكذا . كان بشوشاً ولطيفاً . ومع ذلك فيه كل
فضائل الرهينة . يحيا فى وحدة وفى صمت . وإذا إلتقى بالناس ، يلتقى بهم فى سلام
وحب ، يعطى فكرة عن المتدين السعيد بتدينه ، الذى تنظر إلى وجهه فتعلم الهدوء
والسلام والبشاشة والطمأنينة واللطف .
كان صاحب وجه مريح ...

الفصل الثالث :

القديس أنطونيوس أب لفكرة وطريق وأب لمنهج روحى جديد

القديس الأنبا أنطونيوس له فضائل وميزات عديدة ، لعلكم سمعتموها من قبل .
لذلك أتمير فى كل سنة ، عن أى شىء أخاطبكم . ولكن لعل من الأشياء التى
نذكرها فى مقدمة ميزات هذا الإنسان البار ، أنه أحد الأوائل .
أقصد أنه واحد من الذين شقوا طريقاً جديداً ، طريقاً صعباً وجيلاً ، لم
يسبقه إليه أحد من قبل .

رهبان كثيرون ملأوا الدنيا آلاف وملايين . لكنه كان أول راهب فى العالم ، له
مكانته ، لأنه أول من سار فى الطريق ، وأول من وضع نظامه وأسلوب حياته ، وأول
من شرحه للناس وعرفهم به .
تماماً كما نقول مثلاً أن كثيرين كتبوا عن لاهوت السيد المسيح . لكننا نذكر
القديس أثناسيوس الرسول كأول لاهوتى كبير ، ألف ، ورد على الأريوسية فى هذا
المجال ...

وكثيرون كرزوا باسم السيد المسيح فى أرض مصر . لكننا نذكر إسم القديس مار
مرقس ، لأنه أول من كرز فيها ، ولم يسبقه فى ذلك أحد من قبل .
إن الأوائل الذين بدأوا الطريق ، لهم مكانتهم .

كلنا ، إن سرنا فى طريق الرهبة ، إنما نتبع آثار أقدام القديسين الأوائل ، وكما
ساروا نسير . أما القديس الأنبا أنطونيوس ، فحينما شق طريقه فى الرهبة لم تكن هناك
أقدام سبقته فى هذا المجال من قبل .
إنه أب لطريق ، بل أب لأصعب طريق ، طريق الموت عن العالم ، طريق

وقد سار في هذا الطريق وحده ، لما بدأ ...

عظمة الأنبا أنطونيوس ، أنه لم يوجد أحد يقوده ويرشده في الرهينة بل هو الذي قاد وأرشد الكل .

كل من يترهب حالياً ، آباء ومرشدين ، يشرحون له كيف يبدأ ، وكيف يتدرج وينمو . ويحكون له أسرار الحياة الرهبانية وأعماقها وطقسها ، ويظهرون له حروب وحيل الشياطين ، وكيفية الانتصار عليها ... ومسكون بيد هذا المبتدئ ، ويقودونه خطوة خطوة ، حتى يصل ...

أما الأنبا أنطونيوس فلم يجد له مرشداً ، وسار وحيداً .

يقول الكتاب : « إثنان خير من واحد لأنه إن وقع أحدهما ، يقيمه رفيقه . وويل لمن هو وحده إن وقع ، إذ ليس ثان ليقمه » (جا ٤ : ٩ ، ١٠) .

وكان الأنبا أنطونيوس وحده ، ولكن لم يقع ...

سار وحده في طريق الرهينة ، بلا أب ، بلا مرشد ، بلا زملاء في الطريق ، بلا تعزية من أى إنسان . بل أيضاً بدون الوسائط الروحية المتاحة للجميع ، بلا كنيسة ... بلا شيء يسند في الغربة والفقر والوحدة والحروب ... سوى إيمانه بأن الله معه .

ومع ذلك لم يستصعب الطريق ، بل سار وحده ، ومعه الله .

لهذا نحن نكرم الأنبا أنطونيوس ... وكل الذين يترهبون الآن ، مهما إرتفعوا ، لا يمكن أن يصلوا إلى درجة هذا القديس . فعلى الأقل الدفعة أتتهم من الخارج . هناك من تابعوهم في حياتهم الروحية والنسكية ، حتى وصلوا ...

لكن الأنبا أنطونيوس ، أتمته الدفعة الأولى من داخله .

ولما دخل إلى الرهينة في أيامه ، دخل إلى المجهول ...

سار في طريق لا يعرف معالجه ، ولا يعرف حروبه .

حالياً توجد كتب للرهبنة ، يوجد بستان الرهبان ، والعديد من الكتب النسكية ، كتبها كبار الآباء عن الحياة الرهبانية ، وتوجد أيضاً سير الآباء المتوحدين والسواح . والذي لا يجد مرشداً ، يمكنه أن يتعلم من الكتب ...

أما في وقت رهبنة الأنبا أنطونيوس ، فلم تكن هناك كتب .
إن سيرة هذا القديس ترد على الذين يبررون أنفسهم في سقطاتهم ، معتذرين بأنهم
لم يجدوا أب اعتراف ، ولا مرشداً روحياً ، ولا قدوات صالحة أمامهم . لذلك سقطوا !
هوذا الأنبا أنطونيوس لم يجد شيئاً من هذا كله ، ومع ذلك سار في طريق الكمال بلا
عثرة . وكان الرب يرشده .

إنه لم يكن أباً للرهبان فقط ، إنما أباً للرهبنة ذاتها .
هوذا الذي وضع أسسها وروحها ، وقدم للعالم صورته .
وإن أردنا أن نفهم ما هي الرهبنة في أصولها ، إنما نرجع في ذلك إلى الأنبا
أنطونيوس ...

لذلك كانت حياته ذات تأثير عجيب ، ايما عرفت ...
كانت سيرته مسكاً ، لأنها كانت شيئاً جديداً على العالم ...

كانت حياته جديدة لم يعرفها العالم من قبل ...
لقد أعطى العالم صورة جديدة عن طقس في الحياة لم يكن مألوفاً من قبل . فكان
الناس يأتون من أقاصى الأرض ، لكي يروا هذه الحياة الجديدة ، وهذا الإنسان
العجيب ، الذى يسكن الجبال والمغائر والبرية القفرة ، وتمر عليه ثلاثون سنة لا يرى
فيها وجه إنسان ، ومع ذلك فهو سعيد في وحدته وعزلته ونسكه ...

كان أعجوبة في عصره . مجرد النظر إليه كان يُفرج القلب ...
كما قال أحد تلاميذه : [يكفى النظر إلى وجهك يا أبى] . وكثيرون أحبوا
الرهبنة بمجرد النظر إلى وجهه ، واشتوا أن يحبوا نفس حياته التى أعجبوا بها ...
لقد كانت حياته ، في صمت ، عظة جذبت إليه الكثيرين .

كانت حياة جديدة . لم تكن هروباً من العالم ...
الأنبا أنطونيوس ، كان شاباً غنياً ، وكان العالم متفتحاً أمامه . كان يملك
ثلاثمائة فدان من أجود الأطنيان في الصعيد ، وكان أبوه ذا مركز وسلطان ، ويستطيع
أن يرث أباه في المركز والكرامة . إن الدنيا لم تضق في وجهه ليهرب منها . فلماذا إذن
تركها ؟

إنه لم يهرب من العالم ، بل إرتفع فوق مستوى العالم وكان هذا هو سر عظمته ،
وسر اعجاب الناس به ...

لقد ارتفع فوق مستوى الأطلين ، وفوق مستوى الغنى ، وفوق مستوى السلطة ، بل
فوق مستوى العالم كله ، بكل شهواته . وشعر أن العالم كله ليست له قيمة ...
وأعطى للناس درساً عملياً في تفاهة العالم ، كما أعطاهم درساً مقابلاً في إهتمام
الإنسان بأبديته ، قبل كل شيء .

وفيا كان الناس يتناقسون على ملاذ العالم وعظمته ، وجدوا إنساناً يرتفع فوق هذا
المستوى كله ، وينظر إلى شهواتهم كنفاهات ، ويحمل عصاه في يده ، ويضرب بقدمه
في البرية ، خارجاً من العالم بارادته ، واهباً كل أمواله للفقراء ، لكي يحيا حياة الفقر
الاختياري ... مع الله .

وكان هذا شيئاً جديداً على الناس .

وكان جديداً عليهم أيضاً أن يسكن في مقبرة ...

ومها ضربته الشياطين فيها ، وأخافته بكل طرق الرعب ، يظل باقياً متحدياً قوة
الشياطين ، قائلاً لهم : [... وإن كان الله لم يعطكم سلطاناً على ، فلن يستطيع أحد
منكم أن يؤذي] ...

إنسان يظهر له الشياطين بهيئة أسود وفهود ونمور ، وبأصوات مفرقة ، يحاربونه لكما
يخاف ويرجع . ولكنه يصمد .

إنه فوق مستواهم ، وفوق مستوى مقدرتهم وسلطانهم ...

لقد إرتفع فوق مستوى الخوف ، لا في المقبرة ، ولا في الوحدة . لم يخف
الشياطين ، فخافت منه الشياطين ...

وكان هذا شيئاً جديداً على الناس ، أذهلهم واستواهم .

من هذا الذي يعيش في أعماق الجبل وحده ، حيث الوحوش والحيات ودبيب
الأرض ، وحيث العزلة الخفيفة ، والوحدة المملة ، وحيث حروب الشياطين ؟ ومع
ذلك فهو لا يخاف ، ولا يمل ، بل يحيا سعيداً ، مفضلاً هذه الحياة على كل ملاذ
العالم ... !

رجل له قلب من حديد . دخل البرية ليس فقط بالنسك والزهد والصلاة ، وإنما أيضاً بشجاعة عجيبة .

إنه نوعية جديدة من الناس ، لم يرها البشر من قبل .

أغلق على نفسه مغارة ثلاثين سنة ، لا يستقبل أحداً . وكان الناس يقرعون على بابه ، ويتركون له بعض الحبوب والبذور ، ويضعون لشأنهم ... وأخيراً لم يحتمل الناس البعد عنه . كان وراء هذا المجهول شيء يستهويهم .

كان وراء بابه المعلق شيء يجذبهم ...

فظلوا يقرعون بابه . ولما لم يفتح لهم ، كسروا الباب ودخلوا ، وقالوا له : نريد أن نعيش معك ، ونحيا الحياة التي تحياها ، بأية طريقة ، نقي معك تحت ظل صلواتك . استهوتهم هذه الحياة المرتفعة عن مستوى العالم .

واستهواهم هذا القلب ، الذي يجيا وحده ، مكتفياً بالله ...

هذا القلب ، الذي لا يحتاج إلى عزاء الناس ، لأن عزاء الله يكفيه ... والذي لا يحتاج إلى أحاديث الناس ، لأن الحديث مع الله يشبعه . استهوتهم حياته كلها ، فبقوا معه ...

هذه هي عظمة الأنبا أنطونيوس . لم يكن سرها إرتفاعه في فضائل معينة كأن يطوى بعض الأيام صوماً كالقديس الأنبا بيشوى مثلاً ، أو يدخل في تدريب صلب العقل كالقديس مقاريوس الإسكندري ، كلا بل كان لعظمته سبب آخر :

سر عظمته ، أنه إكتشف طريقاً ، ما كان الناس يعرفونه قبلاً . وأحب الناس هذا الطريق ، وأحبوا الأنبا أنطونيوس معه .

كانت للأنبا أنطونيوس فضائل كثيرة . فكان مشهوراً بإتضاعه ، وبصلاته ، ومعرفته وإفرازه وزهده . ولكن ما أكثر من إتصفوا بهذه الصفات . أما الذي ينفرد به هذا القديس عن الجميع ، فهو قيادته لطريق الرهينة الروحي .

في فترة حديثة ، كان البعض يتشاجرون ويصيحون قائلين :

« لا بد من أن يكون البطريرك من الرهبان ... ! »

أما في أيام الأنبا أنطونيوس ، فلم يكن البطاركة من الرهبان .

كانت الرهينة طقساً روحياً ، أعلى من عمل الرعاية ، حقاً لم تكن أعظم من الكهنوت وراثته ، وإنما كانت حياة أجل ، هي الأقرب إلى حياة الملائكة ... من من الآباء كان يقبل أن يترك جمال الرهينة ويصير بطريكاً ؟!

عاش الأنبا أنطونيوس ١٠٥ سنة ، وعاصر بطاركة عديدين . ولم يصير من الآباء البطاركة ، بل شماس من تلاميذه ، هو الأنبا أثناسيوس صار بطريكاً . وبقي الأنبا أنطونيوس في حياته الروحية الحلوة . بكل عمقها ، وكل إرتفاعها .

ساعة واحدة يقضيها مع الله ، يمكن أن تنفع الكنيسة أكثر من جهاد سنوات وشهور في عمل الرعاية ...

لما إنتشرت البدعة الأريوسية ، وصارت خطراً على الكنيسة ، وظل القديس أثناسيوس يقاومها بالآيات والتفسير ، وبالجدال اللاهوتي والحوار المنطقي ، أرسل الآباء الأساقفة إلى القديس الأنبا أنطونيوس ، لكي ينزل إلى الاسكندرية . لا للجدل اللاهوتي ، فما كان رجل جدال ، إنما من أجل تأثير روح الله الذي فيه . فنزل القديس ، وكان عمره حوالى المائة عاماً . وقضى في الاسكندرية ثلاثة أيام كان لها تأثير عجيب عميق في الناس .

يكفى أن يسمعو من فم الطاهر أن الإبن مساو للآب في الجوهر ... كلمة يقولها بلا جدال ، تسندها حياته المملوءة قدساً المحبوبة من جميع الناس ، نذكرنا بقول قائد المائة للرب : « قل كلمة فقط ، فيبرأ غلامى » . وكان الناس ينتظرون من الأنبا أنطونيوس أن يقول كلمة فقط . فقال وأحدثت الكلمة تأثيرها .

القديس الذى كان مرعباً للشياطين ، أما كان مرعباً للهراطقة ؟!

وبعد ذلك تقول سيرة القديس ، أنه عاد إلى ديره ، كغريب يلتمس وطنه . حقاً كان العالم غريباً عليه ... غريباً على رجل الجبال والبرارى والوحدة ... وأبى الرهينة الأصلية .

وصدقوني أن كلمة (رهينة) ترجمة غير سليمة لحياة الوحدة .

إن كانت مأخوذة من عبارة : يرهب الله أى يخافه ، فالقديس الأنبا أنطونيوس

نفسه قال لأولاده : [أنا لا أخاف الله . ذلك لأني أحبه ، والمحبة تطرح الخوف إلى خارج] (١ يوحنا : ٤ : ١٨) . فيماذا نسمى الرهبنة التي قادها الأنبا أنطونيوس ؟

الرهبنة هي حياة الملائكة الأرضيين أو البشر السمايين .

الرهبان بشر يحيون حياة الملائكة ، وهم على الأرض . وقد كان القديس الأنبا أنطونيوس هو أول الملائكة الأرضيين .

لى يا إحق مقرر فى دير الأنبا بيشوى ، أقضى فيه نصف أو ثلث كل أسبوع . وفى أعلى هذا المقر ، لى كنيسة خاصة أسميتها : « كنيسة الملك ميخائيل والأنبا أنطونيوس » ، على إعتبار أن الملك ميخائيل هو رئيس الملائكة السمايين ، والأنبا أنطونيوس هو رئيس الملائكة الأرضيين .

غير أن الأنبا أنطونيوس يتميز على الملك ميخائيل بميزتين :

• الأولى أن الملك ميخائيل ، خلقه الله هكذا ، ملاكاً ...

أما الأنبا أنطونيوس . فقد ولدته أمه إنساناً . ولكنه تحول بسيرته الطاهرة إلى ملاك ، وأصبح فى مقدمة الملائكة الأرضيين .

• والميزة الثانية أن الأنبا أنطونيوس ولد على الأرض ، واستطاع أن يحول الأرض إلى ساء ، والرهبان إلى كواكب ، فسموه : « كوكب البرية » وسموا « تلاميذه كواكب البرية » ...

لقد إكتشف الأنبا أنطونيوس أن الدنيا لا تساوى شيئاً . وهذا الإكتشاف عرفه قبله إثنان ، وبقي يعملان فى الدنيا .

أولهما سليمان الحكيم ، الذى قال أن الكل باطل وقبض الريح ، ولا منفعة تحت الشمس (جا ٢ : ١١) . ومع ذلك بقى سليمان حياته كلها يعيش وسط هذا الباطل .

والرجل الثانى هو القديس بولس الرسول ، الذى قال : « خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ، لكى أريح المسيح » (فى ٣ : ٨) . ومع أنه عرف أنها نفاية ، بقى فى الدنيا من أجلنا ، يخدم ، لأنه إئتمن على وكالة . وهكذا عاش فى الدنيا ، ولم يعيش فى نفايتها .

سليمان بقى فى العالم كملك ، وبولس بقى كرَسُول .

أما الأتبا أنطونيوس ، فلم يبق فى العالم ، ولو للخدمة .

إرتفع فوق مستوى الخدمة الأرضية التى كانت لسليمان ، وفوق مستوى الخدمة الرعوية التى كانت لبولس . وعاش فى الخدمة الملائكية التى كانت لطقس السارافيم . وقدم لنا هذه الحياة نموذجاً لطقس الملائكة الأرضيين .

كل راهب فى الدنيا يعتبر نفسه إبناً للقديس الأتبا أنطونيوس ، ليس الأقباط فقط ، إنما الكاثوليك أيضاً ، وكل الأرثوذكس شرقيين وغربيين ، وكل عجبى الوحدة فى العالم ... الكل يشتركون معاً فى محبته ، وفى إكرامه ، وفى البتوة له . لقد قدم للعالم كله حياة التأمل والصلاة ، حياة الوحدة والسكون ، حياة الزهد والتفرغ الكامل لله ...

هلم لنا حياة جديدة ، لا تستمد عظمتها من الخارج .

لا تستمد عظمتها من الألقاب ، ولا من الجاه والسلطان ، ولا من الوظائف ، ولا من الكهنوت ، ولا من الرعاية ، ولا من العلم والجدل والمعرفة . إنما تستمد عمقها من الداخل ، من الصلة الدائمة بالله ، فى حياة الروح . هذا هو المنهج الجديد الذى قدمه الأتبا أنطونيوس . ونحن نكرمه كأب لهذا المنهج ، ونقول :

مبارك هو الرب الذى منحنا الأتبا أنطونيوس .

وفتح لنا به باباً للمسماتيات ، وقدس أقداس وسط الجبال ...

وقدس لنا رمل البرية ، وتلاها ، ومغائرها . وصارت مغارة الأتبا أنطونيوس مزاراً يتبارك به الناس من كل أنحاء العالم ، ليروا مكاناً حل الله فيه ، مراققاً للأتبا أنطونيوس ومباركاً له .

ونشكر الله لأن الأتبا أنطونيوس قبل أن يفقد الرهبنة . لم يصر أن يحيا وحده كالأتبا بولا ، فى عزلة كاملة عن العالم ، يقضى حياته كلها لا يرى وجه إنسان ... مبارك هو اليوم الذى قبل فيه الأتبا أنطونيوس ، أن يرشد آخرين ، ويعلمهم هذا الطريق الملائكى الذى إختبره .

الفصل الرابع :

القديس أنطونيوس كمعلم وطالب علم

الأبنا أنطونيوس المعلم

كثيرون ترهبوا . وكثيرون كانوا قديسين ، وسواحاً ، ومتوحدين ، ولم ينالوا شهرة الأبنا أنطونيوس .

الأبنا بولا السائح مثلاً ، ترهب قبل الأبنا أنطونيوس . وفي لقاء هذين القديسين ، كان الأبنا بولا يخاطب الأبنا أنطونيوس بعبارة يا إني ، فيرد عليه بعبارة يا أبني . كان الأبنا بولا أكبر منه سناً ، وأقدم منه في هذه السيرة اللاثكية . ولكنه لم ينل نفس الشهرة ، لأنه لم يكن مثل الأبنا أنطونيوس أباً لرهبان كثيرين . ولم يكن مثله أباً لمدرسة من المدارس ...

كان الأبنا أنطونيوس أباً لرهبة . كان أباً لمدرسة رهبانية ، لأول مدرسة رهبانية . وكان أباً لفكرة معينة إنتشرت في كل مكان ...

إنه لم يتزوج ، ولم ينجب إبناً . لكن له مئات الآلاف من الأبناء . له أبناء في كل بلد من بلاد العالم . كل رهبان العالم أولاد الأبنا أنطونيوس . إنظروا كم قرناً مرت على العالم منذ رهبة الأبنا أنطونيوس (١٧ قرناً) وكم راهباً ترهب في كل بلاد العالم ، وطوال تلك القرون ... هؤلاء جميعاً هم أبناء الأبنا أنطونيوس .

عندما يدخل الأبنا أنطونيوس إلى الملكوت ، يقول الله : « هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب » (إش ٨ : ١٨) ، يدخل وراءه من أولاده ألوف ألوف ، وربوات ربوات ... لأنه أب لمدرسة .

تتلمذ عليه تقريباً كل قادة الرهينة في مصر:

فثلاً كان من تلاميذه الأنبا آمون أبو جبل نتريا ، أبو منطقة القلاي . وقد رأى الأنبا أنطونيوس روح الأنبا آمون وهي صاعدة إلى السماء ، تزفها الملائكة في فرح ...

وكان من تلاميذه أيضاً ، القديس الأنبا مكاروريوس الكبير ، أتى وتتلمذ عليه وألبسه الأنبا أنطونيوس إسكيم الرهينة . واشتغل معه ، وشهد له بقوله : [إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين] ...

وتتلمذ عليه الأنبا بيشوى ، أو الأنبا سيصوى من آباء الجبل الشرق ، هو وتلاميذه . وتتلمذ عليه القديس الأنبا بولس البسيط ، والأنبا بيساريون ، والأنبا سراييون .

وتتلمذ عليه القديس الأنبا بينوده رئيس أديرة الفيوم . وقد كتب إليه القديس الأنبا أنطونيوس رسالته العشرين .

وتتلمذ عليه القديس الأنبا إيلاريون الذي نشر الرهينة في سوريا وفي فلسطين .

وعندما كان يأتي إلى الأنبا أنطونيوس أحد من تلك المناطق يطلب إرشاده ، كان يقول لهم في إتضاع : [لماذا تأتون إليّ ، وعندكم الأنبا إيلاريون ؟] .

وتتلمذ عليه شيوخ عديدون إنتشروا في الأرض كلها ... ونشروا الرهينة في كل مكان ... وأصبح الأنبا أنطونيوس أباً لفكرة ، ولدرسة ، ولطريق حياة ، أباً لمنهج روحي له فروع في كل مكان ...

وأطال الله عمر الأنبا أنطونيوس ...

ولد سنة ٢٥١ م ، ورقد في الرب سنة ٣٥٦ م . وله من العمر ١٠٥ سنة شيخاً كبيراً في الأيام ...

العجيب أن الأنبا أنطونيوس لم يتلمذ عليه رهبان فقط ...

إنما تتلمذ عليه أيضاً البابا البطريك ...

كان القديس الأنبا أنثاسيوس الرسول البابا العشرون من تلاميذه . درس عليه الروحانيات . تلقى عنه أيضاً كثيراً من أفكاره اللاهوتية ...
إن بعض العلماء ، حينما يدرسون فكرة أنثاسيوس اللاهوتية ، إنفا يرجعون كثيراً من أفكاره اللاهوتية إلى القديس أنطونيوس الكبير .
حقاً إن هذا لعجيب ...

والقديس أنطونيوس تتلمذ عليه كثيرون لم يروا وجهه أبداً ...

لقد تتلمذوا على حياته ، على سيرته التي نشرها في الغرب القديس أنثاسيوس الرسول في كتابه : (حياة أنطونيوس) . وهذا الكتاب كان سبباً في إنتشار الرهبنة في روما وفي بلاد الغرب . فتهرب كثيرون هناك وألقى العديد منهم إلى مصر . ليجرد أنهم تنسموا حياة القديس الأنبا أنطونيوس .

وكان لهذا الكتاب تأثيره في هداية أوغسطينوس ...

لقد تأثر أوغسطينوس تأثيراً عميقاً بسيرة القديس أنطونيوس ، فتاب ، وترك حياة الفجور ، بل صار راهباً وقديساً ... ومصدراً من مصادر الحياة التأملية في العالم ... بفضل سيرة الأنبا أنطونيوس .

والقديس الأنبا أنثاسيوس الرسول ، كاتب هذه السيرة ، حينما كان يذهب إلى أى مكان من بلاد أوربا ، كانوا يسألونه عن أنطونيوس ، وعن أخبار الرهبنة في مصر ، وعن الرائحة الزكية التي تفوح من البرية ... وهكذا كان للأنبا أنطونيوس تأثير في أمكنة عديدة جداً لا توضع تحت حصر .

وكثيرون كانوا يأتون من بلاد الشرق والغرب ، لكي يتتلمذوا على القديس الأنبا أنطونيوس في التدبير الرهباني .

وكان بعض الفلاسفة يأتون إليه ، ويسألونه ، ويحاورونه ، ويندهشون كثيراً من علمه ومن ذكائه ...

لدرجة أنهم قالوا له في إحدى المرات : [أنت لا تملك الكتب ، ولا تقرأ الكتب ، فمن أين لك هذه المعرفة وهذا الفهم العجيب ؟] ...
فأجابهم بسؤال عجيب : [أيها أسبق : العقل أم المعرفة ؟ فلما قالوا له : العقل

طبعاً أسبق ، أجايبهم : إذن المعرفة يمكن أن يلدّها العقل ، بدون كتب ... !
وكان يقول : [أنا إن أردت معرفة شيء ، أأصلي إلى الله ، فيكشف لي ، وأتأمل
في آيات الكتاب ، فأفهم منها . فلا حاجة بي إلى الكتب] .
وكما أن الناس كانوا يأتون من مشارق الدنيا ومغارها إلى الأنبا أنطونيوس ،
يطلبون منه كلمة منقعة ، يميلونها دستوراً لحياتهم .

كذلك فإن الامبراطور قسطنطين الكبير أرسل إليه رسالة ، يطلب منه فيها
بركاته وصلواته . ولما لم يقرأ القديس هذه الرسالة لثوّه . تعجب تلاميذه . فقال لهم :
[لا تتعجبوا من هذا ، بل تعجبوا بالأكثر أن الله يرسل لنا الرسائل كل يوم في كتابه
المقدس ، ونحن لا نسرع إلى قراءتها] ... !

محاربته للأريوسية :

كان الأنبا أنطونيوس في نظر الناس نبياً كبيراً للقداسة ، ومعلماً كبيراً
للروحيات ...

وكانت كل كلمة تخرج من فمه هي كلمة ثقة وصدق :

لدرجة أنه عندما إنتشرت الأريوسية في الإسكندرية ، نتيجة للشكوك العنيفة التي
أثارها الأريوسيون ضد لاهوت السيد المسيح ، طلب الآباء الأساقفة من القديس
أنطونيوس أن ينزل لكي يقول كلمة فيسند بها تعليم البابا أثناسيوس الرسول ...
ونزل الأنبا أنطونيوس ، إلى الإسكندرية ، وهو فوق المائة من عمره ، وقضى ثلاثة
أيام ، فيها ثبت الناس في الإيمان .

ويقول المؤرخون أن الأيام الثلاثة التي قضها الأنبا أنطونيوس في الاسكندرية
كان لها مفعول السحر في الناس ... وكانت أكثر دسماً من سنوات عديدة في التعليم ...
كانت كلمة التعليم تخرج من فم الأنبا أنطونيوس ، تسندها قداسة سيرته ،
وتسندها المعجزات ، وتسندها ثقة الناس به ...
إنه رجل الله . فكل ما يقوله هو كلام من الله .

إن الشخص العادى حينما يتكلم ، ربما يحتاج إلى أدلة كثيرة ، وإثباتات وبراهين كثيرة لكى يقنع الناس . أما الإنسان القديس ، الذى يشهد له الله بآيات ومعجزات ، الإنسان القديس الذى هو موضع ثقة الناس بروحياته . فيكفى أن يقول كلمة ... لا يلزمه أن يبرهن كثيراً ويثبت ، أو أن يتعب نفسه فى النقاش ... يكفى أن يقول كلمة وينتهى الأمر...

هكذا كانت كل كلمة للأبنا أنطونيوس ... لها ثقل عجيب !

وكان الأبنا أنطونيوس يعلم ، ليس فقط بالكلام ، وإنما أيضاً بالرسائل . وله عشرون رسالة ، أرسلها إلى أولاده .

ترجمت هذه الرسائل إلى العربية ، وهى موجودة فى مخطوطاتنا فى الأديرة ، آخرها رسالته إلى تلميذه بنوده .

وقد طبع البعض هذه الرسائل ونشرها .

وكانت موضع دراسة لعلماء كثيرين .

وللقديس أنطونيوس تعاليم كثيرة ضمنها بستان الرهبان :

خاصة بنصائحه إلى أبنائه الرهبان ، فى النسك والروحيات ...

وله سيرته وحياته المقدسة التى كان يتغذى بها الناس .

وتعاليمه كانت إما فى كلمات قليلة يرد بها ... أو فى عظات طويلة كما فى رسالته ،

وفى سيرته :

وله فى كتاب سيرته التى وضعها القديس الأبنا أنطونيوس ، عظة طويلة قالها عن

ضعف الشياطين ، وإنه ليست لهم القدرة الخيالية التى يخشاها الناس لذلك لا داعى

أبدأ لأن يخافهم الناس ويرتعبوا منهم ... إنها عظة طويلة ...

وكلمات الأبنا أنطونيوس كان لها تأثيرها ، ليس فى الأشخاص العاديين فقط إنما

أيضاً فى شيوخ الرهبة وقادتها ومرشديها . كانوا جميعاً يعرفون أنه يتكلم بالروح

القدس .

ولم تكن كلماته فقط نافعة للتعليم ، أو سيرة حياته فقط نافعة للتعليم ، وإنما

حق مجرد ملامح وجهه ...

زاره مرة ثلاثة من الرهبان ، أخذ إثنان منهم يسألانه عن بعض أمور . أما الثالث فبقى صامتاً . فسأله الأتبا أنطونيوس ، لماذا لا يطلب شيئاً مثل زميليه ؟ فأجاب : يكفينى مجرد النظر إلى وجهك يا أبى ...

وقد قال القديس أنثاسيوس عن الأتبا أنطونيوس : [من من الناس كان مضطرب القلب أو مر النفس ، ويرى وجه الأتبا أنطونيوس ، إلأ ويمتلئ بالسلام ...] .

لعله كان أيضاً من مصادر السلام بالنسبة إلى الأتبا أنثاسيوس نفسه فى وسط ضيقاته الكثيرة .

وكان الأتبا أنطونيوس يحب الإفراز ، أى الحكمة والتمييز والمعرفة :

فى إحدى المرات سأله أولاده عن الفضيلة العظمى فى الرهينة . فقال لهم : إنها الإفراز ، لأن كثيرين صاموا ، وأضربوا أنفسهم بصومهم . وكثيرين صلوا وفشوا فى صلواتهم ، بسبب عدم الإفراز . وله عظة عن الإفراز فى بستان الرهبان .

ذلك لأن الشخص الذى يقتنى الإفراز والتمييز ، يستطيع أن يميز بين النافع والضار واللائق وغير اللائق . لذلك إهتم الأتبا أنطونيوس بفضيلة الإفراز . وهو أيضاً كانت له هذه الفضيلة .

ولم يكن يفرح بالآراء بقدر ما كان يفرح بالعمل الروحى الفاضل ، وبخاصة الباطنى منه .

فى إحدى المرات زاره بعض الرهبان ، وسألهم رأيهم فى تفسير آية معينة ، فأبدى كل منهم وجهة نظره . وكان الأتبا يوسف معهم فبقى صامتاً . فسأله القديس الأتبا أنطونيوس عن رأيه فى تفسير الآية ، فأجاب : صدقنى يا أبى أنى لا أعرف .

وهنا قال له الأتبا أنطونيوس : [طوباك يا أتبا يوسف ، لأنك عرفت الطريق إلى كلمة لا أعرف] ...

الأبنا أنطونيوس كتلميذ يتعلم

مصادر معرفته :

ما مصادر المعرفة عند الأبنا أنطونيوس ؟

ومن إستقى تعليمه ؟

فلا يمكن لشخص أن يرتقى إلى رتبة التعليم ، ما لم يتعلم أولاً ويتلمذ ويفهم .
فأين تتلمذ القديس الأبنا أنطونيوس ؟ وعلى يد من ؟

كان الأبنا أنطونيوس يطلب المعرفة من كل مصدر :

وكانت هذه هي الصفة الأولى في تلمذته ...

يطلب العلم من كل مصدره . لا يتعلم فقط من الأساتذة الكبار ، وإنما من كل شيء ، ومن كل أحد ، ومن كل حادث ، ومن كل شخص حتى لو كان خاطئاً ...

● أول درس له ، تعلمه من إنسان ميت :

وعجيب أن يتلقى أول درس له في الرهينة ، لا من إنسان حي ، إنما من شخص ميت . وكان هذا الميت هو أبوه ...

لما مات أبوه ، نظر إلى جثمانه المسجى ، وتعلم من هذا الموت شيئاً ... نظر إلى أبيه الميت ، الذي كان يملك ثلاثمائة فدان من أجود أطيان قن العروس ببني سويف ، وكان له غنى ونفوذ بين مواطنيه ، وقال له :

[أين هي قوتك وعظمتك وسلطانك ؟ أنت خرجت من العالم بغير إرادتك . ولكنني سأخرج منه بإرادتي ، قبل أن يخرجوني كارهاً] .

وهكذا تلقى أول درس في الموت عن العالم .

تأمل في ذلك الرجل الغني العظيم ، الذي كان يملأ الدنيا قوة وسلطة ، وهو الآن بلا حراك ، لا يملك حتى التصرف في جسده !

● أما الدرس الثاني ، فأخذه من الإنجيل ...

والأنبا أنطونيوس كان يسمع كلام الله في عمق ، وكان جاداً في سماعه . وكل كلمة يسمها ، كان يعتبر أنها موجهة إليه شخصياً ... ففى إحدى المرات - وهو فى الكنيسة - سمع قول الرب للشاب الفنى : « إن أردت أن تكون كاملاً ، إذهب بع كل مالك وأعطه للفقراء ، وتعال إتبعنى » .

وكان أول من سمع هذا الكلام الإلهى شاباً غنياً مثله سمع ومضى حزيناً مع أنه سمع هذه الآية من فم الرب يسوع المسيح نفسه ، من صوت السيد المسيح المملوء تأثيراً وعمقاً وروحانية . ولكنه لم يتأثر ولم يتغذ ، لأن محبة المال كانت فى قلبه .

أما الأنبا أنطونيوس ، فلما سمع هذه العبارة ، وكان هو أيضاً شاباً غنياً ، لم يمشى حزيناً ، وإنما مضى وباع ما له فعلاً ، وأعطاه للفقراء . أخذ الأمر الإلهى بطريقة جديدة ، لأنه كان يسير فى حياته بهذا الأسلوب الجدى ...

ولما بدأ يدير الأمور ، ويفكر كيف يصرف هذا المال ، وكيف يدبر أيضاً مستقبل أخيه ، مضى إلى الكنيسة فسمع قول الرب : « لا تهتموا بما للغد » . فأعتبر هذا الكلام أيضاً موجهاً إليه هو بالذات ، وأسرع فى الخروج من العالم .

بينا فى أيامه ، لم تكن هناك رهبنة بالمفهوم الحالى ، والنظام الحالى ، لأنه هو أول الرهبان .

كم من مرة نسمع نحن هذه الآيات تقرأ علينا فى الكنيسة ، ولا نتأثر ونعمل مثلها متأثر بها الأنبا أنطونيوس وعمل ... !

ولكنه كان إنساناً يود أن يستفيد ، ويعتبر أن كلام الله للعمل ، وليس بمجرد السماع والتمتة الروحية به .

كان جاداً فى سماعه ، يحول كلام الله إلى حياة .

كان يعمل بقول الرب : « الكلام الذى أقوله لكم ، هو روح وحياة » . فكان يفهم الروح الذى فى الكلام ، ويحوّله إلى حياة ...

لقد تعلم درسه الأول فى الرهبنة من موت أبيه .

وتعلم درسه الثانى من آيات الإنجيل التى سمعها .

فمن تعلم درسه الثالث إذن ؟

تعلم درسه الثالث من القدوة الحسنة ...

كان هناك بعض النساك يعيشون على حافة القرى . ففى أول خروج الأنبا أنطونيوس تعلم من هؤلاء النساك . ولم يشأ أن يكون مقلداً لشخص معين منهم ، وإنما أخذ من كل واحد شيئاً : كان يتعلم من هذا الهدوء ، ومن ذاك الوداعة والإتضاع ، ومن ثالث الصمت ، ومن رابع المداومة على الصلاة ، ومن خامس النسك ، ومن سادس السهر...

كان يبحث عن الشيء الفاضل فى أى إنسان يقابله ، ويتعلمه منه ، دون أن يكون صورة طبق الأصل لشخص واحد بالذات .

• أما الدرس الرابع ، الكبير ، فتعلمه من امرأة مستهزة ...

كان متوحداً إلى جوار النهر ، وإذا بامرأة لا حياء لها ، قد جاءت إلى حيث كان ساكناً يتعبد . وبدأت تخلع ملابسها ، لتتنزل إلى البحر لتستحم أمامه ، وهى لا تخجل ! أما هو فقد خجل ، وأنها قائلاً : [يا امرأة أما تستحيين أن تتعري أمامى وأنا رجل راهب ؟!] فاجابته : [لو كنت راهباً ، لدخلت إلى الجبل فى البرية الجوانية ، لأن هذا المكان لا يصلح لسكنى الراهبان] ! قالت ذلك ، وهى تضحك منه باستهزاء ... !

أما الأنبا أنطونيوس ، فأخذ كلمة الإستهزاء هذه ، بجدية ، وقال : [حقاً هذا صوت الله لى على فم هذه المرأة] .

وقام فعلاً ، وترك ذلك المكان ، شاعراً أنه لا يناسبه فعلاً كراهب ، ودخل أعماق الجبل ، وكان دخوله بركة للعالم ... حتى كلمة الإستهزاء والتهكم التى سمعها ، أخذها بعمق وروحانية وتنفيذ . ولم يغضب بسببها ، إنما إنتفع روحياً ...

ويبدو أن نساء شريرات كثيرات ، كن على غير قصد منهن ، سبب بركة وتعليم لكثير من القديسين :

وكما يقول الكتاب أن الله يخرج من الجاني حلاوة (قس ١٤ : ١٤) .

+ وقد رأينا كيف أن الأنبا أنطونيوس إنتفع روحياً من كلمة قالتها امرأة لا تستحي من أن تتعري أمامه .

+ والقديس مقاريوس الكبير ، كان سبب دخوله إلى البرية أيضاً ، امرأة أخطأت

مع شاب ، وحلت منه ، ولما إنكشف أمرها إتهمت هذا القديس المتوحد ظلماً . فأقى أهلها وأهانوه أشد اهانة وكلفوه بالعناية بها ، ولما حان موعد ولادتها لإبنها ، تعسرت ولادتها جداً . وكادت تموت ، فاعترفت بخطيئتها وظلمها لهذا القديس ، فأقى الناس ليعتذروا إليه ، فهرب من المجد الباطل ، وترك تعبدته على حافة القرية ، ودخل إلى البرية .

+ امرأة خاطئة أخرى ، قابلت القديس مار أفرام السرياني ، والظاهر أنه كان جميل الصورة جداً ، فأخذت تتأمل جمال وجهه ، وثبتت عينيها على وجهه ، فحجل ولاهما على ذلك ، فقالت له .

[أنا امرأة ، في الأصل مأخوذة من رجل ، فن الطبيعي أن أنظر إليك . أما أنت فرجل مأخوذ في الأصل من تراب ، كان ينبغي أن تنظر إلى التراب الذي أُلحِذت منه] ...

فإنضع القديس مار أفرام ، وجعل وجهه في الأرض ، وتركها ومضى ، واستفاد من عدم حياتها ...
وطبعاً لا يجوز أن تفعل النساء هكذا ، معتمدات على منطق هذه المرأة ! فإنها امرأة خاطئة ، وليست مثلاً .

عموماً ، إن الشخص الذي يريد أن يستفيد روحياً يمكنه أن يتخذ كل مصدر لفائده ، حتى المرأة الخاطئة . وكما يقول الكتاب : « كل شيء طاهر للطاهرين » (تي ١ : ١٥) .

إن ربنا يسوع المسيح علمنا أن نستفيد دروساً روحية ، من تأملنا لزنايق الحقل التي تلبس أعظم من سليمان في كل مجده ، ومن طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن ، وأبونا السماوي يقوتها .
ولقد أعطانا دروساً ، من الزارع والبزار ، ومن الخنطة والزوان ، ومن الشباك والصيد ، ومن الخميرة ، ومن الإبن الضال .

لأن من أراد أن ينتفع ، يمكنه أن ينتفع .

ومن له أذنان للسمع ، سيسمع ما يقوله الروح للكنائس .

وعلى رأى أحد الآباء الروحيين ، الذى قال : [تعلمت الصمت من الببغاء] .
أى أننى لما رأيت ثقافة الثرثرة ، تعلمت الصمت .
لقد تعلم القديس الأنبا أنطونيوس دروسه الأربعة : من جسد إنسان ميت ، ومن
آيات الإنجيل ، ومن القدوة الصالحة ، ومن صوت الله على فم امرأة خاطئة ...
فإذا كان المصدر الثابت لتعليمه ، ليس فى الدرس الخامس فقط إنما فى دروس
عديدة ؟

● لقد تعلم أيضاً من التأمل فى الكتاب :

عيبنا فى هذا الزمان أننا نقرأ كثيراً ، ولكن تأملنا قليل ، لذلك لا ندخل إلى
أصفاق المکتوب ...
أما الأنبا أنطونيوس ، فلم تكن لديه كتب كثيرة مثلنا . كان راهباً بسيطاً ، من
غير المعقول أن ينتقل فى البرية من مكان إلى آخر وهو مثقل بأحمال من المخطوطات !
كان يقرأ قليلاً فى كتاب الله ، ولا يقف عند المعنى الخارجى للكلمة ، أو المفهوم
السطحى ، إنما يدخل فى عمق إلى روحانية الكلام . وحسباً قال القديس بولس
الرسول : « خمس كلمات بفهم ، أفضل من عشرة آلاف كلمة بدون فهم » (١ كو
١٤ : ١٩) .
بهذا كان القديس أنطونيوس يفهم معانى الكتاب أكثر من غيره . وهذا شهد له
الكثيرون .

● وكان القديس أنطونيوس يتعلم أحياناً من أولاده ...

من أولاده الذين هم معلمهم . كما قال ، أنه كان يأخذ أحياناً من تلميذه الأنبا
بولس البسيط ، وكان هذا يسكن فى مغارة تحت مغارة معلمه فى الجبل . وكانت فى
حياته بساطة ونقاوة ، يصلح سلوكه أن يكون نافعاً ومفيداً لمن يرغب فى المنفعة .
وهناك أمور تعلمها القديس أنطونيوس من الله مباشرة ، عن طريق الكشف ،
أو عن طريق الملائكة :

فلما حارب بالضجر فى الوحدة ، أرسل له الله ملاكاً يريه كيف يصلى ويعمل
بيديه ، ويقاثل الضجر بعمل اليدين .

وأراه الملاك الّزى الرهبانى ، القلنسة المملوءة صلباناً ...
ولما حارب بالمجد الباطل ، أرشده الله إلى حيث يوجد القديس الأنبا بولا السائح ،
ليأخذ درساً من حياته ويتضع ...

وقد تعلم القديس أنطونيوس أيضاً من الخبرة ومن حروب الشياطين :

كان يتعلم من الحيل التى يستخدمها الشياطين معه ، ومن أفكارهم وحروبهم
ومحاولاتهم لإسقاطه . وهكذا بالخبرة والممارسة تدرب على أشياء كثيرة ، واتسعت
معارفه .

ولهذا بعد أن قضى تلميذه الأنبا بولس البسيط فترة معه ، يتتلمذ عليه ، ويعيش
تحت ظل صلواته ، وكان يود أن يستمر هكذا ، أمره الأنبا أنطونيوس أن يسكن فى
مغارة وحده ، (لكى يجرب حروب الشياطين) ... ويختبر ، ويتعلم ، ويتقوى ...
إذن كان الاختبار مصدراً من مصادر التعليم عند الأنبا أنطونيوس .

وفى الواقع كانت اختباره كثيرة وعلى مدى طويل :

لقد عاش فى حياة الوحدة والنسك والصلاة أكثر من ثمانين عاماً ، وقد حفلت
- وبخاصة فى بدايتها - بالعديد من الحروب ، أثارها الشياطين عليه لكى يبعده عن هذه
الحياة الملائكية :

حاربوه بالأفكار والشكوك وشككوه فى هذا الطريق ، وفى مصير أخته ، وفى
إمكانية استخدام المال للخير بدلاً من توزيعه على الفقراء . وحاربوه بالحواس ، والمناظر
الخفيفة ، وحاربوه فى عفته بمناظر العيب والنساء .

وظهروا له بهيمة فهود وفور وأسود وحيوانات متوحشة ليرعبوه . فانتصر عليهم ولم
يخف . وقال لهم : [لماذا هذا التجمهر ؟ لو كنتم أقوىاء ، لكان واحد منكم فقط
يكفى لمحاربتى ، بينما أنا أضعف من مقاتلة أصغركم] ... نقطة ذكاء ...

وحاربوه أيضاً بالضرب والإيذاء ...

وبالأخص حينما كان يسكن فى مقبرة ، فى بده رهيبتة .
وربما يكون قليل من القديسين قد ضربوا من الشياطين ضرباً عنيفاً ، كما حدث
للأنبا أنطونيوس .

لقد ضربوه بمتف شيطاني لا رحمة فيه ، حتى تركوه في المقبرة ما بين حي وميت .
وهو نفسه قال عن هذا الحادث : [إن الضربات التي كانت تقع على . كانت من
القوة والعنف ، بحيث أنني لا أظن أن قوة بشرية تستطيع أن تضرب بمثل ذلك الايلام
ومثل تلك القسوة] ...

ولما جاء العلماني الذي يخدمه ووجده هكذا ، حمله إلى كنيسة القرية وهو في
غيبوبة ، فبكى عليه الناس . وعند منتصف الليل تقريباً ، وكان الناس قد انصرفوا ،
فتح الأنبا أنطونيوس عينيه ، وسأل الأخ العلماني : [أين أنا ؟] فلما أخبره أنه في
كنيسة القرية ، قال له : [إحلفي إلى المقبرة] . ولما أدخله فيها ، قال له : [اغلق
وأمنس] . ثم إعتدل الأنبا أنطونيوس وقال للشياطين .

[إن كان الله قد أعطاكم سلطاناً على ، فن أنا حتى أقاوم الله ؟ وإن كان
الله لم يعطكم سلطاناً ، فلن يستطيع أحد منكم أن يؤذيني !] . وبدأ يرتل
مزاميره :

الرب نوري وخلصني من أخاف ؟! الرب عاضد حياقي من أرتعب ؟ عند
اقتراب الأشرار مني ليأكلوا لحمي ، مضايقي وأعدائي جزعوا وسقطوا . إن يحاربني
جيش ، فلن يخاف قلبي . وإن قام على قتال ، فني هذا أنا مطمئن .
وكانت الشياطين تنحل أمامه كاللدخان وتمضي صارخة ...

ولما انتصر هكذا على الشياطين ، بدأت الشياطين تخافه عالمه أنه أقوى منها .
وتعلم هو من هذا دروساً ...

تعلم أن لا يخاف من الشياطين ، وتعلم قوة الصلاة والمزامير وعجز الشياطين
أمامها . وتعلم الشجاعة أيضاً ، والصلابة في الجهاد . وأخذ خبرة في العمل الروحي
وفي حروبه .

ومن ذلك الحين ، بدأت الشياطين تخافه ، لأنه هزمها في أكثر من ميدان . وألقى
فيها بعد عظته عن ضعف الشياطين .

وأخذ قوة من ذلك كله ، على اخراج الشياطين وطردهم :

وعاش هذا الجبار وحده في الجبل ، يملأ البرية صلاة وتأملات وتسبيحاً وترتيلاً
وقدسية وطهوراً ، وترتعب منه الشياطين ، وتحيطه الملائكة .

وعرف متى يقول لهم في إتضاع : أيها الأقوياء ، ماذا تريدون متى أنا الضعيف ؟ أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم . ألا تعلمون أني مجرد تراب ورماد ؟ .

وتواضعه هذا كان يحرقهم ويطردهم بعيداً ...
وعرف أيضاً متى يكون حازماً وشديداً معهم . ويقول لهم في ثقة .
[لو كنتم أقوياء ، لكان واحد منكم يكتي لحاربتى] . [إن كان الله لم يعطكم سلطاناً عليّ ، فلن يستطيع أحد منكم أن يؤذيني] .

واستطاع أيضاً أن يميز أفكارهم وخداعهم وأحلامهم :

في إحدى المرات أتاه الشيطان مرة ليوقظه ليصلى !! فلم يسمع منه . وقال له : متى أردت أن أقوم للصلاة ، سأقوم وأصلى . ولكن منك أنت لا أسمع .
وفي إحدى المرات تعجب البعض من سر كشفه لهم ، فسألوه عن ذلك قال : [أرى الشياطين في حلم وأخبروني] ...

لقد إكتسب إفرازاً وعلماً من حروب الشياطين :

إن الأنبا أنطونيوس في تعليمه لغيره ، إنما كان يعلم من حصيلة خبرة طويلة ، لم يكن يعلم من معرفة الكتب . لم يحدث أنه قرأ كتاباً وفهمه ، وأخذ أفكاره وشرحها لمناس .

إنما كان يحيا الحياة ، ويعرب ويختبر . ثم يعلم :

لقد عرف الشياطين وحروبهم ، وعرف الأفكار وحروبها ، وعرف الجسد وحروبه ، وجرب الرؤى والأحلام ... ومن ناحية أخرى ذاق حلاوة العشرة مع الله ، في الوحدة والصلاة ، واختبريات الإلهية ، والكشف الإلهي ، والتأمل . ومن واقع هذه الخبرة الطويلة مدى عشرات السنوات ، كان يتكلم كلاماً عملياً عن خبرة وتجربة ، وليس كلاماً من الكتب . لذلك كان لكلامه تأثير ...

إن خبرة ٩٠ سنة في الروحانيات ليست أمراً هيناً إنها رحلة طويلة مشاها مع الله في الجبل المقدس ... مشوار طويل مشاه في البرية ، في الصحراء ، يده في يد الله ، وحياته في قلب الله ... يختبر ويذوق ما أطيب الرب .

● والقديس الأنبا أنطونيوس ، كانت له عينان مفتوحتان ، تكشفان الأسرار وتستطيعان أن تمزقا الحجب ، وتريان ما لا يرى .
في مرة من المرات كان واقفا مع تلاميذه ، ثم رأوه قد سها قليلاً ونظر إلى فوق فترة ، ثم تنهد . فسألوه ... فقال : [لقد إنتقل اليوم عمود كبير من أعمدة الرهبة ... لقد رأيت روح الأنبا آمون وهي صاعدة إلى السماء ترفها الملائكة] ...
صدقوني يا إحق ، لقد وقفت مذهولاً فترة أمام هذه العبارة ... ! ما الذي رآه الأنبا أنطونيوس ؟ وكيف رأى ؟

إن أرواح البشر لا تراها العين المحسوسة المادية ، وكذلك أرواح الملائكة ! فهل رأى الأنبا أنطونيوس هذه الرؤيا بالروح أم بالجسد ! إن كان بالروح فكيف وهو في الجسد ؟ وإن كان في الجسد فكيف ؟ هل ظهرت الملائكة في هيئة منظورة ، كما يظهرون أحياناً للبشر ، وهل كذلك ظهرت روح الأنبا آمون ؟ أم كان الأنبا أنطونيوس في ذلك الوقت : « في الروح » كما كان يوحنا الحبيب (رؤ ١ : ١٠) ، « في الجسد أم خارج الجسد ؟ لست أعلم . الله يعلم » (٢ كو ١٢ : ٢) .
كان الأنبا أنطونيوس رجلاً مفتوح العينين ، يكشف له الله أموراً وأسراراً .

وقد تعلم كثيراً من الكشف الإلهي ، وتعلم من الرؤى ومن الملائكة ...

كما سبق له وتعلم من الموت ومن الحياة ، من الأبرار ومن الخطاة ، ومن التأمل في كلام الله ...
ولما إمتلأ علماً فاض من علمه على الآخرين ...
وكان الفلاسفة يأتون إليه ، ليتعلموا من هذا الأمل ، الأمل في نظر فلسفة اليونان والرومان ... !

هذا هو الأنبا أنطونيوس العجيب ...

الكنيسة مملوءة من العلماء والفلاسفة والمفكرين ، ومملوءة من الأساقفة والمطارنة والبطاركة وكل رتب الكهنوت .

ولكن ليس فيها كثيرون من أمثال الرجل العظيم الأنبا أنطونيوس ! .
من هذه الطاقة الروحية الجبارة ، التي احتقرت الدنيا وما فيها ... وزهدت كل شيء : المال والشهرة والأسرة ، ومتع الأرض كلها ، والجسد ... فأصبح الله له هو الكل في الكل .

نادراً ما نجد إنساناً ناسكاً زاهداً عابداً ، مثل الأنبا أنطونيوس ! فكم بالأكثر إنساناً
قائداً معلماً مثالاً في هذا الطريق كالأنبا أنطونيوس ! نبيغ في الروحيات ، اختبارها ،
وعلمها لغيره ، بالتعليم والقُدوة الصالحة ...
نطلب بركة هذا القديس العظيم ، وبركة هذه الكنيسة المقدسة ...
وللهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين ،



دير القديس العظيم الانبا أنطونيوس

الفصل الخامس :

القديس أنطونيوس أعطى أم أخذ ؟

لاشك أن القديس أنطونيوس قد أعطى الرب كل شيء :

إنه حسب الوصية : « مضى وباع كل ماله وأعطاه للفقراء » ... أعطى الرب ثلثمائة فدان من أجود أطيان بني سويف . وأعطى الرب أيضاً ما كان ينتظره من مركز وجاه كبريث لوالده . وأيضاً زهد فكرة الزواج وما كان يمكن أن ينجمه من أولاد . وكذلك زهد كل ما في الدنيا من علم ومعرفة ومتع وصلة بالناس ...

ومع كل ذلك يلح علينا السؤال : هل هذا القديس قد أعطى أم أخذ ؟ أم أعطى فأخذ ؟ ...

وننتقل من هذا السؤال إلى سؤال آخر يتبعه :

هل الرهبنة عطاء أم أخذ ؟ أم هي عطاء يتحول إلى أخذ ؟ أو عطاء يكافأ بأخذ ؟ الأخذ فيها أكثر من العطاء ؟

• هذا القديس أعطى الله قطعة أرض (٣٠٠ فدان) .

ولكن الله أعطاه الأرض كلها ، والسهاء أيضاً ... فأصبح له في كل بلد من البلاد أديرة ، وكنائس ، وأماكن مقدسة . وأصبحت له كل البرية أيضاً ، وكل الأديرة التي على أساء قديسين آخرين ، لأنه أبو الرهبنة في العالم كله . فهل أعطى أم أخذ ؟
إنني حينما أرى الأراضي والأملاك الموقوفة على دير الأنبا أنطونيوس في مصر وحدها . أرى أنها أكثر مما تركه القديس الأنبا أنطونيوس في قرن العروس ... ! بالإضافة إلى أرض الأحياء ...

انظروا إن كلمة ربنا يسوع المسيح لم تسقط أبداً ، حينما قال :

« من ترك أباً أو أمّاً ... أو أخوة أو أخوات ، أو زوجة ، أو مقتنيات من أجل ، يأخذ مائة ضعف في هذا العالم ، وملكوت السموات » (مر ١٠ : ٢٩) .

لعل البعض حينما أعطى القديس أنطونيوس أرضه للرب ، قالوا عنه : مسكين ، ضيع نفسه وأرضه ووثوقه ومستقبله ... ! بينما يرد الرب عليهم قائلاً : « من أضاع نفسه من أجل مجدها » (مت ١٦ : ٢٥) .

ويقول الكتاب للأبنا أنطونيوس : « منك ربح عشرة أمناء » (لو ١٩ : ١٦) .

• ماذا ترك القديس أيضاً غير الأرض ؟ هل ترك أولاداً ؟!

لنفرض أن الشاب أنطونيوس ، بدلاً من الرهينة تزوج وأنجب ، كم من أبناء كان سينجب ؟ خمسة ؟ عشرة ؟ عشرين ؟ ... هوذا له الآن آلاف من أبنائه الرهبان في كل جيل ، يصل عددهم إلى ملايين منذ بدأ الحياة الرهبانية في أواخر القرن الثالث حتى الآن ... يضاف إلى ذلك ملايين من أبنائه الروحيين مثلكم ، من غير الرهبان ...

حقاً أن السيد المسيح حينما قال أن يعوض : « مائة ضعفاً » كان منكرأ لذاته في كرمه ، لأنه أعطى بالآلاف الأضعاف ...

بل قد جعل الله هذا القديس يتخطى حدود المكان والزمان : هذا الذي ترك بلده ، وتوحد في الجبل لأجل الله ، تاركاً العالم لأجله ، أصبح العالم كله يتحدث عنه . اسمه وصل إلى أقطار المسكونة كلها . لا توجد قارة من قارات العالم الست ، لا تعرف الأبنا أنطونيوس ! اسمه تخطى حدود قريته ، بل حدود مصر ، بل حدود أفريقيا ، حتى في أيامه ... وأصبح له أولاد وأديرة وكنائس في كل موضع . وأصبحت له أماكن مقدسة لا تعد . حقاً ، هل أعطى أم أخذ ؟!

• وماذا أعطى القديس الأبنا أنطونيوس أيضاً للرب ؟ هل أعطاه عمراً ؟ هوذا الله جعل حياة الأبنا أنطونيوس تتخطى الزمان !

كثيرون تنتهى حياتهم في الأرض بوفاتهم ، وينساهم جيلهم بعد حين ، وتنساهم الأجيال . هوذا قد مر أكثر من ١٦ قرناً على نياحة الأبنا أنطونيوس ، ومازال حياً بيننا حتى الآن ، حياً في مبادئه ، وفي تعاليمه ، وفي أولاده ، وفي النهج الذى أخطه ، وفي ذكرائه ...

إنه من الأسماء الخالدة التى لا تنسى . إنه روح كبيرة ، أكبر من الموت . لم يستطع الموت أن ينهى رسالتها . فلم تقتصر حياته على جيله ، بل تحتطه عبر الأجيال ، ولا تزال بيننا . إنه صاحب حياة بدأت ولم تنته ...

عند رهينة كل راهب ، يصلون عليه صلاة الأموات (أعني المنتقلين) . على إعتبار أنه مات عن العالم . ولكن قديسنا هذا بموته عن العالم ، دخل في الحياة التي لا تنتهى ، ومازال بها حياً بيننا .

أترأه أعطى الله حياة كرسها له ، أم أخذ حياة لا تنتهى ؟!

● هل لأجل الله أيضاً ترك جاهاً وسلطاناً وعظمة وشهرة ؟

إذ كان أبوه بالجسد ذا جاه وعظمة يورثها لإبنه ... هناك وأنخيل لوبي القديس أنطونيوس في مكان أبيه ، أى مستقبل كان ينتظره ؟ أترأه كان سيصير عمدة البلدة قن العروس ؟ أو أعظم رجل في المركز أو في محافظة بنى سويف ، مدى حياته ، ثم ينسأه الناس ، كما نسوا إسم أبيه على الرغم مما كان له من عظمة وجاه وغنى ... !
هوذا الأنبا أنطونيوس في جيله ، يرسل إليه الأمباطور قسطنطين يطلب بركته ، ويأتيه الفلاسفة والنبلاء من كل مكان يطلبون حكمته . وينال شهرة لم ينلها أحد .
وتسميه الكنيسة : « العظيم الأنبا أنطونيوس » .
أترأه حقاً في هذه النقطة ، أعطى أم أخذ ؟!

● ماذا ترك أيضاً لأجل الله ؟ أترأه ترك الكهنوت ؟

فلم نسمع أنه نال من درجات الكهنوت أو رئاسة الكهنوت ...
ولكن هوذا أولاده صاروا بطاركة وأساقفة . بل أن البابا البطريرك في أيامه (القديس أثناسيوس الرسولى) كان أحد أولاده الروحانيين . وجميع بطاركة العالم يسجدون في مواضعه المقدسة ويطلبون بركاته ...
وكل رتب الكهنوت ، مهما علت ، تطلب في القديس الإلهى صلوات الأنبا أنطونيوس ، وتشفع به الكل يعتبرون أنفسهم أولاده ...
صدقوني ، لو إكتشفت قطعة قماش صغيرة ، ثبت أنها من ثوب للأنبا أنطونيوس لتنافس عليها كل بطاركة العالم وكهنته ورهبانه .
ترك الأنبا أنطونيوس الكهنوت ورأسته . فصار كل رجال الكهنوت من أولاده .
أترأه في ذلك أعطى أم أخذ ؟!

حقاً أن الله يعطى أكثر مما يأخذ ، بما لا يقاس :

ياخذ حبة قمح ، ليعطيك سنابل مملوءة قمحاً .
ياخذ نواة بلح ، ليعطيك نخلة ، تحمل آلافاً من ثمار البلح .
وللأسف ، البعض يججمون عن العطاء . تطلب الكنيسة من أم أن تعطى ابنها
للرهبنة أو الكهنوت ، فتبكي وتعرض كأن كارثة ستحدث !
تعجبني جداً في الأمهات ، القديسة حنة أم صموئيل النبي . لم تنجب إبناء . ولما
وهبها الرب صموئيل ، أعطته للرب وكان وحيداً ! فأعطاه الرب أولاداً آخرين
كثيرين ، لعلكم لا تذكرون أسماءهم (١ صم ١ : ٢٢) . أما الإبن الذي أعطته
للرب ، فهو الوحيد الذي نُحِلد اسمه ، وعُرفت هي به أنها « أم صموئيل » .
أعط إذن للرب ، وسيرد لك أضعافاً ، دون أن تطلب أو تنتظر .

الأبنا أنطونيوس أعطى حياته للرب ، وليس فقط أملاكه . فإذا حدث ؟
أعطاه الرب بدلاً من هذه الحياة الأرضية ، حياة روحية خصبة . حياة أبدية مشعة
في ملكوته ، أعطاه أيضاً حياة أبنائه ...
بل أن الأبنا أنطونيوس ذاته ، تحول إلى رمز ...

أصبح ليس مجرد شخص ، وإنما صار رمزاً ، رمزاً لحياة الوحدة والصلاة والتأمل
والزهد والنسك ، رمزاً لحياة الرهبنة بكل ما فيها من فضائل وروحانيات . وكما قيل في
إحدى القصائد .

أنت رمز حياة ظهرت أشتهى الخالق يوماً أن تكون
أصبح رمزاً لحياة الهدوء والسكون ، رمزاً للحياة التي تتخل من الكل لكي ترتبط
بالواحد ، الحياة السامية المقدسة التي لا تنشغل بتفاهات العالم وكل متعه ، لأنها
تفرغت لله وحده ...

أعطى راحته وهدوءه ، وتعرض لحروب الشياطين وإيذائهم ...
بالتخويف ، بالضرب ، بالتشكيك ، في صورة وحوش ، في صورة نساء ، بأصوات
مرعبة ، في وحدة بلا أنيس ... !
ولكن الله أعطاه الإحتمال ، والقوة ، والإنصار ، وعدم الخوف ، وأعطاه سلاماً
داخلياً عجبياً ، وأعطاه مهابة روحية ، بحيث صارت الشياطين هي التي تخافه وترتعب

من قوته الروحية ، صارت له موهبة إخراج الشياطين . أترأه في كل ذلك أعطى أم أخذ ؟

• كذلك في تركه العمران وسكنائه القفر ، هل أعطى أم أخذ ؟

يبدو ظاهرياً أنه ترك هجعة العمران ، ودخل في وحشة القفر . من أجل الرب . ولكن الرب جعل القفر عامراً بهذا الملاك الأرضي . وحول البرية إلى سماء ، كواكبها هم هؤلاء الملائكة الأرضيون . وصار هذا القفر مكاناً مقدساً ، يأتيه الناس من أقاصي الأرض ليتبركوا حتى بتوابه ، وصار جبل أنطونيوس جبلاً مقدساً ، وبرية أنطونيوس صارت برية مقدسة . وكل شبر دأسته قدماء ، ياركة الرب ببركة خاصة . وفجر له في القفر عين ماء . هل حقاً أعطى أم أخذ ؟! إن الناس يشتهون بركة بريته أكثر من كل مباحج العمران ...

إن الله يعطينا طبعاً أكثر مما يأخذ منا . ولكن ...

ولكن المهم أن نبدأ نحن بالمطاء . ولا نفكر حينئذ نعطي أننا نعطي . وأيضاً لا نفكر أننا سنأخذ عوضاً ...

إن من يجعل علاقته بالله ، علاقة طلب مستمر وأخذ ، هو إنسان متمرکز حول ذاته . أما الإنسان الروحي ، فإنه يعبر عن حبه لله ، بالبدل المستمر ، ويقول للرب : « من يدك أعطيناك » (١ أى ٢٩ : ١٤) . بل في تقديمه شيئاً لله ، يشعر بتفاهة ما يقدمه ، إذا ما قورن بما أخذه منه .

هوذا مثل من خارج الرهبة ، هو موسى النبي :

لا شك أنه ترك قصر فرعون ، و « أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون » وترك « كل خزان مصر » ، وصار راعى غنم في البرية ... تراه خسر أم كسب ؟! لقد ترك الأمانة . فإذا بالرب يقول له : « جعلتك إلهاً لفرعون » (خر ٧ : ١) . وإذا بفرعون يتوسل أكثر من مرة إلى موسى ، طالباً منه أن يصل عنه ، ليرفع الله عنه الضربات . وكان واضحاً أن موسى في موقف أقوى من فرعون ... ثم صار موسى قائداً لشعب بأسره ، وأصبح رجل معجزات ، يشق البحر ، ويفجر من الصخرة ماء . لا شك أن موسى قد أخذ أكثر مما أعطى ، بما لا يقاس .

إن علاقتنا بالله هي علاقة أخذ مستمر ، بلا عطاء :

هل تقول إنك تعطى الله وقتاً للصلاة ؟ كلا ، إنك لا تعطى وقت الصلاة ، بل تأخذ بركة ونعمة ، وتنال عملاً من الروح القدس داخلك ، وبركات لا تحصى .
الله أعطاك أسبوع عمر ، وأنت تقدم له يوماً من هذا الأسبوع الذى وهبك إياه ، فهل أنت تعطى ١٩ كلا ، بل أنت تأخذ بركة هذا اليوم . وكما يقول الكتاب أن :
« السبب قد أعطى للإنسان » (مر ٢ : ٢٧) .
القديس أنطونيوس ، حينما أعطى حياته لله ، لم يكن يفكر إطلاقاً أنه سيأخذ كل ما أخذه ، وما جال ذلك بفكره ..

وفى نفس عملية العطاء بالنسبة إليه ، كانت عملية أخذ :

أخذ فيها بركة الجلوس مع الله ، وبركة حياة السكون والتأمل . وأخذ فيها بركة هذا الطقس الملائكى . وأخذ النعمة الكبرى التى عملت فيه حتى إستطاع أن يصمد فى الوحدة .

إنه لم يقل إطلاقاً : « سأعطى الله صلواتى » ، بل كان شعوره : أريد أن أتمتع بالله والوجود معه ، وأن يعطينى الله هذا الشرف وهذه المتعة ، متعة الوجود فى حضرته .

شعور الإنسان بأنه يعطى الرب ، شعور خاطيء روحياً :

فنحن باستمرار نقترّب إلى الله ، لكى نأخذ...

ثم ، من نحن حتى نعطي الرب ١٩ ومن هو الرب الذى نعطي ؟
الله مالك السموات والأرض ، وخالق السموات والأرض ، وصاحب كنوز النعم التى لا تعد ولا تفرغ ... هل من المعقول أننا نعطي ١٩ ؟
الأرملة التى أعطت رجل الله إيليا حفنة دقيق وقليل زيت ، هل أعطت أم أخذت ؟
أنظروا ، هوذا : « كوز الدقيق لا يفرغ ، وكوز الزيت لا ينقص » طول مدة المجاعة (١ مل ١٧ : ١٤) .

وهكذا الأنبا أنطونيوس ، علمنا أن الحياة الروحية هي أخذ دائم من الله ، أخذ بركة ، ومنة ، فى كل عمل روحى .

ولولم يكن القديس أنطونيوس يأخذ متعة روحية ، فى كل أيام حياته فى البرية ، أترأه كان يستطيع الحياة فى القفر ؟!

لولم يكن يأخذ نعمة وقوة ، أترأه كان يستطيع مقاومة كل حروب الشياطين ، في كل عنفهم وكل حيلهم ... ١٩

إنه كان يعيش إلى جوار صاحب النعم كلها ، يغترف منه بالليل والنهار ، نعمة ، وقوة ، وبركة ، ومتعة روحية ...

كان ممكناً للشباب أنطونيوس ، بالغنى الكثير الذى ورثه ، أن يتعلم ، ويأخذ من العالم معرفة وعلماً وشهادات دراسية .

ولكنه من الله أخذ معرفة عميقة ، ما كان ممكناً للعالم أن يعطيها ... معرفة كانت تذهل كل فلاسفة وعلماء عصره ...

وكان الناس يأتون من أقاصى الأرض ، لكن يسمعون من فم كلمة منفعة ، أو كلمة حياة ، يخلصون بها ...

إنها كلمات أخذها من الله ، لها عمقها ، ولها قوتها وفعاليتها وتأثيرها ، وليست معرفتها من النوع الذى يعطيه العالم .

لقد فضل أن يعيش في جهالة مع الله ، تاركاً علم العالم . « فأعطاه الله فهاً وحكمة » (لو ٢١ : ١٥) . وأعطاه علماً يفوق الكل فأنذهل علماء الأرض من هذا (الأُمى) . فهل الأنبا أنطونيوس أعطى أم أخذ ، وهذا العالم كله يستفيد من تعاليمه ...

ولأنه رفض من أجل الله معرفة العالم ، أعطاه الله علماً روحانياً ، علماً إلهياً ... أعطاه علم معرفته ...

ليس في الأمور النسكية فقط ، وإنما حتى في اللاهوتيات أيضاً . وقد أفحم الأريوسيين لما نزل إلى الإسكندرية ، وكان لكلماته تأثير عميق . ويعتبره العلماء أستاذاً للقديس أنثاسيوس ...

أن الله حينما يضع كلمة في فم إنسان ، يزود هذه الكلمة بقوة وتأثير وفعالية ، لا يستطيع أحد أن يقاومها ...

كان الأنبا أنطونيوس جهازاً جيد التوصيل لكلمة الله ، ولنعمة الله ، وبركة الله ، وللسلام الممنوح من الله ...

كان إنساناً يأخذ من الله ، ويعطى للناس ، نفس القوة ...

لقد فرحت السموات ، لما وجدت على الأرض هذه الآنية المختارة ، التي تستطيع أن تحمل نعمة الله للناس ، وفي نفس الوقت تحفظ ببساطتها وهدوئها ، دون أن ترتفع ، ودون أن تنتفخ ...

ولم تكن كلمات هذا القديس فقط هي التي تفيض نعمة ، وإنما كانت حياته أيضاً كذلك ، وكانت هكذا ملائمة .

كان كل إنسان يرى الأنبا أنطونيوس ، يحب أن لا يفارقه . كان وجهه يفيض بركة ، وحديثه يفيض نعمة ، وحياته تفيض روحاً ... لذلك لا نعجب لتلميذه الذي قال له : [يكفيني مجرد النظر إلى وجهك يا أبى ...] .

بالنسبة إلى الله ، كان القديس أنطونيوس يأخذ باستمرار ...

وبالنسبة للناس ، كان هذا القديس يعطى باستمرار ، كسيده ...

ولقد أعطاه الله الكثير ، لما زهد كل شيء ، لأجله ...

أعطاه موهبة المعجزات والآيات والمعائب ، فكان يشقى المرضى ، وكان يخرج الشياطين ... وكان الناس يقصدونه لا من أجل المعرفة الروحية فقط ، والبركة ، وإنما أيضاً لأجل معجزاته .

هل هذا يقارن بما تركه من مال أوجاه أو أهل ؟!

إنه لما أغمض عينيه عن المال ، فتحها الله للرؤى السماوية :

فكم من مرة رأى ملائكة ، وكم من مرة تحدث معهم ؟!

لقد ظهر له ملاك يشرح له كيف يصل ويعمل ويقاوم الملل . والملاك هو الذي سلمه قلنسوة الرهبنة ...

وفي إحدى المرات رآه تلاميذه ناظراً إلى السماء وساهماً ، فعرفوا أنه رأى شيئاً ، فسألوه . فأخبرهم عن نياحة الأنبا آمون أب جبل نتريا ، إذ رأى روحه يزفها الملائكة بالتهليل إلى السماء .

طوباك أيها القديس الأنبا أنطونيوس ، إن عينيك اللتين رفضتا أن تنظرا إلى المال ، وهو ملق على الرمال ، صارتا تنظران الملائكة وأرواح القديسين ، أيها البار المفتوح العينين ... وماذا أيضاً ؟

قال القديس الأنبا أنطونيوس : [أبصرت مرة فساخ الشيطان مبسوطه على الأرض ، فألقيت نفسي أمام الله وقلت : يارب ، من يفلت منها ؟ . فأتاني الصوت من السماء « المتواضعون يفلتون منها »] ..

طوبى لهاتين الأذنين اللتين أغلقتها أمام أغاني العالم وطربه وأحاديثه ، فاستحققتا أن تسمعا صوت الله في هذه المناسبة وغيرها ، وأن تسمعا تهليل الملائكة وهم يحملون روح الأنبا آمون ..

حقاً ، كلما ترك شيئاً لأجل الله ، نأخذ أضعافاً ، وبنوعية أفضل ، « ليس بكبل يعطى الروح » (يو ٣ : ٢٤) إنه يعطى بلا حدود ..

إن الذي ترفض من أجله خزائن العالم ، يفتح أمامك خزائن السماء والمواهب الروحية ، كما حدث للقديس الأنبا أنطونيوس ، الذي ترينا حياته ، مقدار عمل الله في النفس البشرية ..

لقد ترك الزواج والنسل الجسدى ، أنظروا عدد وحلاوة أولاده :

من أولاده القديس مقاريوس أبو الإسقيط ، والقديس الأنبا آمون أب جبل نتريا ، والقديس بينوده رئيس أديرة الفيوم ، والقديس إيلاريون مؤسس الرهبنة في سوريا وفلسطين . ومن أولاده الأنبا بولس البسيط ، والأنبا بيساريون ، والأنبا سرابيون ، والأنبا شيشوى .. وكثيرون ..

حقاً « ترغى أيتها العاقر التي لم تلد » وسمى خيامك لأن أولادك يصيرون أكثر من ذات البعل .. (إش ٥٤ : ١) .

إننى لا أستطيع أن أدخل في جزئيات ، وأقول أن الأنبا أنطونيوس ترك من أجل الله ماله ، أو أرضاً ، أو وقتاً ، أو زواجاً أو أولاداً ..

إنما هو أعطى الله الحياة كلها ، كذبيحة طاهرة قدامه . فأخذ الله هذه الحياة ، وقدسها وباركها وزودها بالمواهب ، وأعطاهها للعالم .

عندما يقول الله : « يا أبني ، أعطني قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) ، هل تظنون أنه يريد أن يأخذ هذا القلب ؟ كلا ، بل هو يريد أن يملأ هذا القلب حباً وبركة وبراً . ويريد أن يأخذ هذا القلب فيطهره من كل خطية ، ويعمل روحه القدوس يسكن

فيه ... كمن يقول لك : « أعطني جييك الفارغ لأملأه خيرات » . أهو يأخذ أم يعطى ؟

عندما تعطى الله قلبك ، إنما تعطى فراغك ، والله يملأ ...

تعطى ضعفك ، وتأخذ قوة الله . كمن يعطى العصور ، لتفتح له كوى السماء ، ويفيض الله عليه حتى يقول كفانا كفانا (ملا ٣ : ١٠) .

تقدم لله ، أعطه إرادتك ، ليعطيها قوة ، ويرجعها إليك منتصرة ...

أنتكون إذن تعطى أم تأخذ ؟

الفصل السادس :

القديس أنطونيوس ومحبة الوحدة والسكون

إننا لا نستطيع أن نتأمل حياة الأنبا أنطونيوس في يوم عيده ، دون أن نتذكر حياة الوحدة والسكون التي عاشها ، وثمار هذه الحياة في حياته وفي تعاليمه ...

لقد ذكر عنه القديس أناسيوس الرسولي أنه قضى ثلاثين سنة ، وقد أغلق على نفسه في وحدة كاملة ، لا يرى فيها وجه إنسان . وفي هذه الوحدة اختبر ثمار السكون ، في خلوة كاملة مع الله . وأمكنه أن يفرغ ذهنه من تذكارات العالم وأخباره وتفاهاته ، لكي يملأ هذا الذهن بالله وحده ، فلا يفكر إلا فيه . وفي مذاقته لخلوة السكون نصح أولاده فيما بعد ، خوفاً عليهم من أن يتبدد سكونهم خارج البرية ، فقال :

[الراهب في الدير كالسمكة في البحر ، لا تحيا خارج مياهه] ...

وحق حينما عاش معه القديس الأنبا بولس البسيط بضع سنوات ، يتلمذ عليه ، وعجبا تحت ظل صلواته ، طلب إليه أن يدخل إلى البرية ويحيا وحده [ليجرب حروب الشياطين] .

إنه الدرس الأول الذي أخذه الأنبا أنطونيوس [إن كنت راهباً ، فأدخل إلى البرية الجوانية] ... وكان هذا هو الدرس الذي يقال لكل راهب ، في أن يتعلم الهدوء :

[اجلس في قلايتك ، والقلاية ستعلمك كل شيء] ...

إن القديس الأنبا أنطونيوس هو الذي وضع أساس الرهبة الأصل . والنظام الذي وضعه هو الذي بقى أكثر من غيره ... أكثر من حياة الشركة التي كانت تعتمد على رئيس حازم قوى كالقديس باخوميوس مثلاً ، يديرها بدقة وجدية ، ويعاقب من يكسر قوانينها ... فإذا لم توجد هذه الرئاسة انتهى قيام الرهبة تبعاً لذلك ... وهكذا إنتهت كثير من أديرة القديس باخوميوس .

أما القديس أنطونيوس فكان يبنى الراهب من الداخل ، بمحبة الوحدة والسكون ، أكثر مما يبنيه بقوانين صارمة تحفظ طاعته ...

كان يبنى قلب الراهب ، لا مجرد إرادته ... وتصرفه ...
كان يبيت العالم داخل قلبه ، ولا يقتصر على إمامة التصرفات العالمية في سلوكه .
وهذه الإمامة كانت تأتي أولاً بالوحدة ، بالبعد عن الكل ، لحفظ العقل في السكون .
وتأتي ثانياً بإنشغال الفكر والقلب بالله في حياة السكون . ما أجل قول مار إسحق :

« إن مجرد نظر القفر ، يبيت من القلب الحركات العالمية » .

في البرية ترى موسى قبل عمله الرعوى أكثر مما « تهذب بكل حكمة المصريين » .
وإلى البرية نقل الله أبانا إبراهيم ، حيث تدرب على حياة الخيمة والمذبح ، أى الغربة والشركة مع الله . وفي البرية تدرب إيليا ، على جبل الكرمل . وفي البرية تدرب أيضاً يوحنا المعمدان ، أعظم من ولدته النساء . وربنا يسوع المسيح أيضاً أحب البرية والجبال ، وترك لنا في ذلك مثالاً ، حتى كما كان يحتل في جبل الزيتون (يو ٨ : ١)
ويقضى الليل في الصلاة ، ثقّل نحن أيضاً ...

وهكذا عاش الأنبا أنطونيوس ، ليس أياماً ، وإنما الحياة كلها ...
عاش بعيداً عن المدن ، وما فيها من صخب وضجيج وضوضاء ، وأيضاً بعيداً عما فيها من دوامة المشغوليات ، التي لا تعطى فرصة لجلوس الإنسان مع نفسه أو جلوسه مع الله ...

حقاً ، لقد سألت نفسى مرة : لماذا خلق الله كل هذه الصحراوات ؟

هذه الصحراوات الواسعة ، وهذه الجبال والتلال ، في كل قارة من القارات ،
تمثل الهدوء والوحدة ، بعيداً عن صخب المدن ...
أليس في كل هذا إجماع ، يشير إلى الناس بحياة الهدوء ؟
وكان السيد المسيح يأخذ تلاميذه إلى موضع قفر ، حتى تتركز حواسهم في كلامه ،
ولا تشغل بالمناظر والأفكار ...

إن كل إنسان في الدنيا ، مهما تعمق في الحياة الروحية ... هو محتاج إلى فترات هدوء ، يجلس فيها إلى الله ، وإلى نفسه ...

يبدأ بعيداً عن المشغوليات ، وبعيداً عما تجلبه الحواس من أفكار... وفي هدوء يأخذ من الله ، وأيضاً يفحص ذاته ، ويأخذ من أعماق أعماقه ، حيث يسكن الله أيضاً . هذا هو أول ما يجذبنا ، في الحياة العميقة التي عاشها قديسنا :

وحياة السكون هذه ، لها دلالتها الروحية الكثيرة :

فليس كل إنسان يستطيع أن يحيا حياة السكون في البرية . وإن استطاع ذلك بضعة أيام أو أسابيع ، فلا يستطيع أن يحيا في البرية العمر كله ، إلا إن كانت له دوافع روحية راسخة ، كما كان للقديس أنطونيوس . فما هي هذه الدوافع ؟

أول صفة تستلزمها حياة البرية ، هي الزهد :

إن الذي يحب العالم ، تجذبه أمور العالم ، فلا يستطيع أن يبق في البرية إذ يشاق إلى ما تركه في العالم من أمور عجيبة إلى نفسه . وكما قال الكتاب : « حيثما يكون كنزك ، فهناك يكون قلبك » (مت ٦ : ٢١) . إننا يحيا في البرية ، الإنسان الذي مات قلبه عن العالم موتاً حقيقياً . بمقدار ما يكون قلبه مائتاً عن العالم ، هكذا يكون ثباته في البرية أيضاً .

إذن الموت عن العالم ، يسبق بالضرورة الحياة في البرية :

والقديس الأنبا أنطونيوس كان قلبه قد مات عن العالم وكل رغباته : ترك الأهل والبلد والمال والجاه والعلم وكل شيء . ولم يعد يشتهي شيئاً عالمياً ، لذا استطاع أن يسكن في مقبرة ، وأن يسكن في القفرو أن يحتمل الجوع والعطش والوحدة ...

كذلك السكني في البرية تحتاج إلى شجاعة قلب :

يصلح لها قلب لا يخاف ... لا يخاف الوحدة ، ولا الظلام ، ولا الوحوش والديب ، ولا الشياطين ... وهكذا كان الأنبا أنطونيوس ، لقد تعرض لحروب غريبة جداً . وكان الشياطين يظهرون له في هيئة وحوش مفترسة ، تصبح بأصوات مرعبة ، وتجهم عليه . ومع ذلك لم يخف ، بل وقف صامداً أمامهم ... كذلك هاجموه لما كان في المقبرة ، وضربوه ضرباً مبرحاً جداً ، ولم يهتز إطلاقاً . وفيما بعد أصبحت الشياطين هي التي تخاف الأنبا أنطونيوس ، وأخذ قوة من الله على طرد الشياطين ...

هذا هو الأنبا أنطونيوس رجل البرية ، وابن الجبال ، صاحب القلب القوى الذى لا يخاف ، الذى عاش فى الجبال وحده عشرات السنوات ، لا يؤتسه سوى الله .

السكنى فى البرية أيضاً يلزمها إنسان يعرف كيف يقضى وقته حسناً ، بحيث لا يمل من فراغ يحيط به ...

فالوحدة ليست مجرد عمل سلبى ، هو البعد عن العالم ، أو الموت عن العالم ، إنما هى عمل إيجابى فى الحياة مع الله والإلتصاق به ، ومذاقة حلاوته والعشرة معه . وهذا هو الهدف الأساسى من الوحدة ، التى تعتبر مجرد وسيلة للإلتصاق بالله . وإن كانت الوحدة هى الإغلال من الكل ، فإن مار إسحق يقول :

[الإغلال من الكل ، للإرتباط بالواحد] ...

والأنبا أنطونيوس عاش حياة الصلاة وحياة التأمل ، منشغلاً بالله كل وقته ، فكراً وقلباً ، فلم يمل ، ولم يعد محتاجاً إلى عزاء بشرى يسليه . وصارت الوحدة بالنسبة إليه متعة روحية ، بسبب العشرة الإلهية التى شغلت حياته ... ولم يعيش وحده فى البرية ، إنما كان الله معه .

عرف أن « الحاجة إلى واحد » ، ونجح فى الإرتباط بهذا الواحد .

ولما عاش فى حياة السكون ، دخل السكون إلى قلبه أيضاً .

وكما قال مار إسحق : [بسكون الجسد ، نفتنى سكون النفس] .

هدأت حواسه ، وهدأت أفكاره ، وهدأ قلبه من الداخل ، وهدأت ملامحه أيضاً ، وصار مصدراً للسلام لكل من يتصل به . وفيه أحب الناس هذه الحياة الهادئة الساكنة المملوءة بالسلام .

بمرور الوقت زالت من فكره كل التذكريات القديمة التى عاشها فى العالم ، وأخذت نقاوة فكره تنمو شيئاً فشيئاً ، حتى لم يعد فى فكره سوى الله وحده . ألحيت من ذهنه كل العاليات ، إذ لا استعمال ، ولا جديد يضاف إليها ، بل لا جديد سوى الأمور الإلهية التى رسخت فى ذهنه ، وملكته كله .

وفياً بعد ، حينما سمح أن يكون له تلاميذ ، وزوار ، لم يكن يكلمهم إلا عن الله

وحياة الروح . فصارت حياته كلها مركزة في الله ، فكراً ، وشعوراً وكلاماً ... ومات العالم من حوله .

استطاع أن يحول الأرض التي عاش فيها إلى سماء ، وأن يحول أبناءه الرهبان إلى ملائكة أرضيين أو بشر سمائيين .

أما أنتم يا إخوتي ، فإن كنتم لا تستطيعون أن تسكنوا الجبال ... فعلى الأقل لا تحرموا أنفسكم من الخلوة والسكون على قدر طاقتكم .

ولو بضعة أيام كل سنة ، أو يوماً كل أسبوع ، أو ساعة كل يوم ، أو بضعة دقائق كل ساعة ...

انفضوا ضجيج العالم من آذانكم ، وغوصوا داخل أنفسكم ، واكتشفوا في أية الطرق أنتم سائرون ، وماذا ينبغي على كل منكم أن يفعل ... واجلسوا مع الله ، وغذوا منه معونة ...

ولا تجعلوا الفترة تطول بكم وسط ضجيج العالم ، حيثما استطعتم أن تنسحبوا من هذا الضجيج ، انسحبوا بسرعة ...

وإن لم تستطيعوا أن تنسحبوا منه موضعياً ، فعلى الأقل انسحبوا منه موضوعياً ... فلا تشتركوا في أعماله وأحاديثه ...

كونوا كغرباء في الموضع الذي لا يناسبكم حديثه . لا تشتركوا في الكلام ، إن لم يمكنكم تغيير دفته . وفيما أنتم صامتون ، إسرحوا بأفكاركم في الله ومسيكوته . دون أن يشعر أحد .

وهكذا تحتفظون بقلوبكم مع الله ، سواء كنتم في خلوة أو مع الناس . كما قال عن ذلك (الشاعر) :

كنت في مجتمع أو خلوة	أنا وحدي ، يستوى الأمران عندي
لي طريق مفرد أحبيته	عشت فيه طول هذا العمر وحدي

المهم أن عبة السكون تكون في القلب ، وكل إحدى نتائجها تتكون الرعدة في الإختلاء بالله ، حتى وسط مشغوليات المجتمع .

ونصيحتي أنكم لا تأخذون أمور العالم بعمق ...

لا تجعلوا أمور العالم تستقر في عمق اهتمامكم ، بحيث تستول على ذهنكم ،
ويطيش فيها فكركم وقت الصلاة ... !

وفي محبتكم للوحدة ، لا تنفروا من الناس ومحبتهم ، بل انفروا من
الأخطاء ... لأن هناك فرقاً بين الوحدة والإنطواء ...

والقديس الأنبا أنطونيوس كانت حياته حباً للوحدة ، حباً في الله ، ولم تكن انطواء
ولا كراهية للناس أو عجزاً في معاملتهم فكلها منحت الفرصة ، كان يفيض حباً على
الناس ، وكانت معاملاته تتميز بالطيبة والوداعة واللطف ...

الفصل السابع :

القديس أنطونيوس ومحبة الله

لما ملكت محبة الله حل قلب القديس أنطونيوس ، إنتزع الخوف تماما من قلبه ...
حق من الله نفسه ، ما عاد يخاف ...
واستطاع أن يقول لتلاميذه ، تلك العبارة المشهورة عنه :
[يا أولادى ، أنا لا أخاف الله ...] .

فلما تعجبوا قائلين : [هذا الكلام صعب يا أبانا] ... أجابهم : [ذلك لأننى أحبه . والمحبة تطرح الخوف إلى خارج] (١ يوحنا ٤ : ١٨) .
حقاً ، إن الحياة الروحية يمكن أن تبدأ بمخافة الله ، كما قال الكتاب : « بدء الحكمة مخافة الله » (أم ٩ : ١٠) . وبالمخافة ينفذ الإنسان الوصايا . ولكنه إذ يمارس الحياة الروحية ، يجد فيها لذة وممتعة ، فتزول المخافة ويبقى الحب . وكلما غما الإنسان في محبة الله ولوصاياه ، حينئذ : « المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج » .

والقديس الأنبا أنطونيوس ، عاش في هذه المحبة : بدأ بها ، فدفعته إلى الوحدة ثم غما فيها ، حتى وصل إلى قمها ...

لولا محبة الله ، ما استطاع أن يحيا في الوحدة فحبة الله إحدى الصفات الجوهرية التى ينبغى أن يتميز بها من يطلب الوحدة . وكما نقول في صلاة القسمة عن آبائنا السواح والمتوحدين : « وسكنوا في الجبال والبرارى وشقوق الأرض ، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح » . هذه المحبة هى التى دفعتهم إلى سكنى الجبال ، لكى يتفرغوا لخدمة الرب الذى أحبوه ...

من أجل هذه المحبة ، ترك القديس كل شىء ، لأن الله عنده هو أئمن وأغلى من كل شىء ، ومن كل أحد . ولأن محبة الله تشجع القلب ، فلا يحتاج إلى محبة أخرى تسنده أو تعزیه .

محبة الله هى الدافع إلى الوحدة ، وهى الدافع إلى الصلاة :
أحب القديس الله . ومن محبة له إنفرد به ، وأصبح لا يستطيع أن يفارقه ، ولا

يستطيع ان يتشغل عنه بشخص آخر. وكما قال الشيخ الروحاني في ذلك : [عبه الله غربتي عن البشر وعن البشريات] . ومن محبته له ، وجد متعة روحية في مخاطبته وللتحدث إليه ، كما يقول داود النبي : « محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوق » ، وكما نقول في التسبحة : « إسمك حلو ومبارك ، في أفواه قديسيك » .

إن عمق الرهينة هو في معناها الإيجابي : الإلتصاق بالله . أما معناها السلبي : البعد عن العالم ، فهو مجرد وسيلة ...

ما أحلى قول داود النبي : « أما أنا فخير لي الإلتصاق بالرب » (مز ٧٣) . وكيف يلتصق الإنسان بالرب ، إن كان بكل مشاعره وفكره منشغلاً بالعالم وما فيه ؟ ...

ومحبة الله ، كما قادت للوحدة والصلاة ، قادت إلى الزهد : لأن الشخص الذي يذوق الله وحلاوة محبته ، يبدو كل شيء آخر تافهاً أمامه . وأمام حلاوة الله ، يفقد كل شيء آخر قيمته ، ويصبح باطلاً وقبض الريح . وكما قال بولس الرسول : « خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ... لأربح المسيح » (في ٣) . وهنا نجد الزهد ليس مجرد عمل تغصب ، يُغصب فيه الإنسان نفسه على ترك مقتنيات العالم وملاذه من أجل الله ، إنما هو إقتناع عميق بتفاهة كل شيء . وهذا الإقتناع نتيجة لمحبة القلب لله ...

وهكذا يرى الإنسان أن كل متع العالم لا تشبعه ، فيزهد بها ، لأن قلبه قد انفتح على محبة أكبر ، وأعمق ، وأسمى ، هي محبة الله ، التي تضاهل أمامها كل شيء آخر . ومن الناحية المضادة ، إن ملكت محبة العالم على قلب إنسان ، نزعته منه محبة الله ، ولذلك يقول الرسول إن : « محبة العالم عداوة لله » ...

ونحن نسأل أنفسنا : كيف استطاع القديس أنطونيوس ، أن يسكن وحده في تلك المغارة البعيدة ؟ وكيف إحتمل البعد عن كل عزاء بشري ؟ وكيف وجد شبهه في الوحدة ؟

الجواب هو أنه كان شعباناً بمحبة الله ، فلم يعوزه شيء . الوحدة بالنسبة إليه ، لم تكن وحدة مطلقاً ، وإنما كانت في حقيقتها عشرة مع الله ، ومع ملائكته ...

عشرة أئذ من عشرة البشر ، ومن المجتمعات البشرية .

وعشرته مع الله جعلت المحبة تنمو في قلبه ، فحينما كان يلتقي بالناس ، كان يلتقي بهم في حب . وكانت معاملاته لتلاميذه مُشبعة بروح الإقضاع والود ، من ثمار الحب الذي فيه .

وهكذا لم تكن وحدته انغلاقاً ، وإنما حباً ...
ومع محبته للمقدس بولس البسيط ، طلب إليه أن يسكن وحده ، لفائدته الروحية .
لأنه كان يحبه حباً روحياً ، يدفعه إلى أن ينمى محبة التلميذ لله ، ولو فارقه ... إنها محبة لا تلتصقه به شخصياً ، إنما تلتصقه بالله ، الذي يحب المعلم والتلميذ كليهما معاً ،
أنطونيوس العظيم وبولس البسيط ...

مديحة للأنبا أنطونيوس

للأببا شنوده الثالث (يناير ١٩٦٢)

- | | |
|---|-----------------------|
| حيثما كان اسمه : الراهب أنطونيوس السرياني | ١ - في كنيسة الأبركار |
| في مجمع الأطهار | قائم بكل وقار |
| بنيوت آفا أنطونيوس | ٢ - قائم بمجد عظيم |
| مع لباس الإسكيم | في طقس السارافيم |
| بنيوت | ٣ - بصلاة روحانية |
| بحياة إلهية | دشنت البرية |
| بنيوت | ٤ - بجهاد في الصلوات |
| عشرات السنوات | بدموع في المطانيات |
| بنيوت | ٥ - بنسك في الأصوام |
| على مدى الأيام | بنفس لا تنام |
| بنيوت | ٦ - بزهد في اللذات |
| بهذيب في الإلهيات | وتأمل في الروحانيات |
| بنيوت | ٧ - أعطيت روح إيليا |
| وحنة النبية | ويوحنا بن زكريا |
| بنيوت | ٨ - إرتفاع الشياطين |
| من قلبك الأمين | وصلاتك كل حين |
| بنيوت | ٩ - حاربوك مدة طويلة |
| بذلوا كل وسيلة | بكم حيلة وحيلة |
| بنيوت | |

- ١٠ - بأختك ذكروك
بهذا ويرجعوك
بنيت
١١ - نشروا الذهب والمال
يفسوى بين الرمال
بنيت
١٢ - أتوك بطرب وغناء
لتسقط في الإغراء
بنيت
١٣ - وأتوك بشكل أسود
بصياح كالرعود
بنيت
١٤ - جاءوك بأذاهم
تواضعك أخزاهم
بنيت
١٥ - صرخت يا أقوياء
تراب أنا وهباء
بنيت
١٦ - عجبى لتجمهركم
أنا أضعف من أصفركم
بنيت
١٧ - يا برج على وحصين
تواضع للشياطين
بنيت
١٨ - يا قوة ومثال
يا ساكن الجبال
بنيت
١٩ - يا مثال للبتولية
وهمدوء البرية
بنيت
٢٠ - كرائحة بخور
حياتك نور من نور
بنيت
٢١ - يا عظيم في جهادك
أشفع في أولادك
بنيت
٢٢ - لم نحس كحياتك
فأذكرنا في صلاتك
بنيت
٢٣ - إشفع في مذلتنا
في مدة غربتنا
بنيت
- لكن يا يلقوك
بنيت
أمامك على الجبال
بنيت
ومرور النساء
بنيت
ومرور وفهود
بنيت
لتخاف من رؤياهم
بنيت
لماذا هذا العناء
بنيت
على ضعفى وتظايركم
بنيت
يا مثال للمنسحقين
بنيت
على مدى الأجيال
بنيت
والقوة الروحية
بنيت
كأنغام المزمر
بنيت
يا حكيم في إرشادك
بنيت
لم نسلك في صفاتك
بنيت
وضعف طبيعتنا
بنيت

فصل الكتاب



باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

إن سير القديسين ليست مجرد تاريخ ،
ولا مجرد وقائع وأحداث ...

إنها مشاعر ، ومشاعل ...

إنها شركة أناس مع الروح القدس في
كل ما يحيط بهم .

إنها عمل النعمة في قلوب ،
استسلمت إرادتها لعمل النعمة ...

وفي هذا الكتاب ، نحاول هذه
الصفحات أن تقترب من قدس أقداس ،
هو قلب الأنبا أنطونيوس ...

نقترب من حياته ، لنستفيع حياتنا ...
فلنبت روحه تشفع ، لننال قوة ،
نتحدث به عن روحه ...

شهوده الثالث

الثمن ٢,٥ جنيه